شـــعـــر

﴿زين الدين طاهر﴾

(ت ٨٥٦ هـ)

حققه وقدم له

الدكـــتور

محمد على سعد

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

جامعة الأزهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعـــد.....

فلكل أمة تراثها وفكرها الذى تعتز به وتفتخر به على الأمم، وهذا التراث يمثل قلبها النابض ووجدانها الصادق، والوجه المشرق لحضارتها ورقيها، والزاد الذى ينهل منه أبناؤها على مر العصور والأزمان .

وأمتنا العربية واحدة من أعظم الأمم لما تمتلكه من تراث نفيس، يخرج من خلاله فكر علمائها، وإبداع أدبائها، وهو فى جملته محيط زاخر ننهل منه ثقافتنا وعلومنا بمختلف فروعها واتجاهاتها، ونستلهم منه أصالة الماضى وشموخه، وعظمة الحاضر ورقيه، وأمل المستقبل وعزه .

ومن ثم تأتى أهمية المحافظة على هذا التراث وذلك الزاد، والذود عنه، والمبادرة إلى تحقيقه ونشره وإحيائه ؛ لتظل الأمة عزيزة بفكر علمائها، وإبداع أدبائها .

وإسهاما منى فى المحافظة على تراثنا الغالى الرفيع والعمل على نشره وإحيائه رأيت أن أقدم للمكتبة العربية ديوانا شعريا لوحد من أولئك الذين وهبهم الله العلم والأدب والفكر، فكانوا مشاعل فى دروب العلم والمعرفة .

صاحب هذا الديوان هو : " زين الدين طاهر " أحد شعراء القرن التاسع الهجرى، وبالتحديد فى العصر المملوكى، وكان مولده فيما بين أعوام (٧٩٣ هـ أو ٧٩٤ أو ٧٩٥ هـ)، وتوفى عام (٨٥٦ هـ)، والطريف أننا لم نتعرف إلى هذا الشاعر إلا من خلال كتاب السفينة " لأحمد بن معارك شاه المصرى " هو أحد كتب الاختيارات وقد أورد لهذا الشاعر حوالى ستة وعشرين بيتا ومئتين، لكن – للأسف – لم نعثر على هذا الشعر أو غيره لهذا الشاعر فى أى مصدر آخر ؛ حيث كان صاحب السفينة معاصرا

له، وكان يتردد عليه كثيرا، فأخذ منه هذه الأشعار بعد أن أجازها له يقوله فى نهايتها : " أجزت لصاحبه شهاب الدين بن مبارك شاه جميع ما رواه عنى " . ومن ثم فان كتاب السفينة يعد المصدر الوحيد لشعر " **زين الدين طاهر** " .

وقد حدابى إعجابى بشعره إلى الاهتمام به، والقيام على تحقيقه ودراسته، مما كان له فائدة عظيمة، فقد استطعنا أن نتعرف إلى هذا الشاعر، وبرز شخصيته من خلال تقليب المظان المتعددة فى هذا الشأن، فكان أن وفق الله وأعان، لكن مما يؤسف له أن هذه المظان وتلك المصادر لم تذكر شيئا من شعره، يبد أنها أشارت إلى أنه برع فى النظم والنثر، دون أن تورد شيئا من ذلك، مما جعلنا نجزم بأن " السفينة " هى المصدر الوحيد لشعره .

وقد بذلت قصارى جهدى فى إخراج هذا الشعر وتحقيقه ليخرج بالصورة اللائقة التى يستحقها، بل يستحقها أىٌ من تراثنا المجيد، وانى لأرجو من الله أن أكون بهذا العمل قد قدمت شيئا لتراثنا العربى النفيس الذى سيظل معينا لا ينضب على مر العصور والأزمان .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن ينفع به انه ولي ذلك والقادر عليه .

﴿والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل ﴾

دكتور
محمد على سعد

تمهيد :-

﴿ أضواء على عصر الشاعر ﴾

عاش الشاعر " زين الدين طاهر " فى العصر المملوكى وبالتحديد فى القرن التاسع الهجرى، ومن الضرورى إذا أردنا التعريف بالشاعر أن نلقى إطلالة سريعة على ذلك العصر الذى عاش فيه .

ولعل من ابرز أحداث هذا العصر فى العالم الإسلامى، هو الغزو المغولى، الذى اجتاح البلاد الإسلامية، فاسقط دويلاتها واحدة تلو الأخرى، بداية من سنة ٦١٧ هجرية، وحتى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ (١)

ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر والشام فى حوزة المماليك، من سنه ٦٤٨ هـ وحتى ٩٢٣ هـ، وقد انقسمت دولة المماليك فى تلك المدة إلى قسمين :

المماليك البحرية من سنة ٦٤٨ هـ وحتى سنه ٧٨٤ هـ، والمماليك الجركسية أو البرجية من ٧٨٤ هـ، وحتى نشوب الحرب بين المماليك والعثمانيين، والتى انتهت باستقرار الأمر فى يد العثمانيين سنه ٩٢٣ هـ (٢)

وقد اتسم حكم المماليك لمصر بالاضطراب وعدم الاستقرار، وذلك لعدة أمور :

١- كثرة الحكام وصراعهم على الملك، لدرجة كان بعضهم يقتل أخاه خشية أن يستولى على الحكم .

٢- جَلْب المماليك من بلاد شتى، فقد كانوا يتجددون ويتكاثرون عن طريق الشراء من الخارج ؛ حيث كانت تجارة الرقيق رائجة فى أواسط آسيا وفى غربها مما جعل منهم

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير، طبعة بيروت ١٩٦٥، ٩ / ٣٣٠ .

(٢) انظر الخطط المقريزية – للمقريزى، مكتبة الثقافة الدينية الطبقة الثانية ١٩٨٧ م ٣ / ٣٨٦ – ٣٩٠، وانظر من الشرق والغرب بحوث فى الأدب، د / شوقى ضيف، الدار المصرية اللبنانية، طبعة أولى، ١٩٩٨، ص ٨٩ .

الأصيل والوضيع، ونتيجة لذلك حدث صراع على مصالحهم، دون النظر إلى مصالح الشعب [١].

٣- ومما أدى – كذلك – إلى عدم الاستقرار، كثرة الفتن والثورات والقتل فى كل أطراف الصعيد وأهالى شمال الدلتا، مما جعل الحكام لا يأمنون على أنفسهم ولا ملكهم .

٤- تولى الحكم من ليس أهلا له كالأطفال . الذين لا يستطيعون تصريف الأمور ولا تقديرها [٢] مما أدى إلى ضعف الدولة وعدم استقرارها فى كثير من الأحايين .

وخلاصة القول : أن المماليك حكموا مصر حكما مطلقا، لم يكن للمصريين فيه مشاركة عدا الوظائف التى هم فى حاجة إليها، ولا يستطيعون القيام بها، مثل وظائف القضاء والحسبة وكتابة الدواوين والتدريس، وغيرها من الوظائف الدينية، وباستثناء ذلك فالسلطة كلها فى يد السلطان والأمراء الكبار المقربين إليه، وكان السلطان على رأس الحكومة يليه النائب والوزير . [٣]

ومع كل هذه المساوىء وعلى الرغم من تأثيرها البالغ على كل أمور البلاد، فقد ذكر لهم التاريخ بعض الموافق الخالدة، من ذلك مثلا : أنهم كانوا سببا فى وقف الزحف التتارى والمغولى والصليبى، وقد كلفهم ذلك عناء كبيرا، أثر على الأمور الداخلية فى البلاد من الناحية الاقتصادية، هذا بالإضافة إلى نجاحهم فى التقرب من الشعب وتوطيد ملكهم عن طريق تعظيم الدين وأهله، ورفع قدر العلماء، وتأسيس المدارس التى أقبل عليها الكثير من طلاب العلم والمعرفة [٤] .

---

(١)انظر الخطط المقريزية ١ / ٢٤١

(٢)انظر جانبا من تلك الأمثلة فى بدائع الزهور فى وقائع الدهور، لابن إياس، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م، ٢ / ١٤٧

(٣)الحركة العلمية في مصر فى عصر سلاطين المماليك (البرجية) ودور الأزهر فيها، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة – قسم التاريخ والحضارة، إعداد : مجاهد توفيق الجندي .، ١٩٨١، ص ٣٥

(٤)مقدمة الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة

وهكذا كان شأن الحياة السياسية من التقلب وعدم الاستقرار، ولم تكن الحياة الاجتماعية فى العصر المملوكى بأحسن حالا منها، فقد شهدت الحالة الاجتماعية أسوأ صور التفاوت الطبقى، وكانت الفوارق بين طبقات المجتمع وفئاته واضحة فى كل الأمور، مما أدى إلى كثرة الفساد وتفشى الفوضى، ولم يعد للعدل أو النزاهة وزن فى سير أمور المجتمع .

* * * * * *

فقد كان عامة الشعب من العمال والصناع والباعة والسوقة والمعدومين فى عسر وضيق، وكثر الناس الذين لا يجدون مأوى سوى الطرقات، كما كثر الشحاذون ، وتفشى السلب و النهب، وانتشرت الرشوة فى ذلك العصر، حتى كانت الوظائف تباع أو تمنح لمن يدفع بسخاء جهرا دونما خجل أو خوف ونتيجة لذلك كله أصيب المجتمع بالاضطراب وعدم الاستقرار [١].

وقد صور الشاعر " زين الدين طاهر " حالة المجتمع وما آلت إليه من فوضى عارمة، فضلا عن المشقة التى وقعت على الناس مما جعلهم يتمنون انقضاء هذا الزمن وزواله، فلم يعد لدى الناس و (الشاعر) صبر على تحمل هذا الشقاء وذلك الضيق، يقول الشاعر :[٢]

متى ينقضى هذا الزمن وكَلُّه لأن به ضاع التجلُّد كُلُّه
وقد كثرتْ فيه المشقةُ والشقا وقد قلّ فيه الصبرُ حتى أقلُّه

كما كانت علاقات الأفراد فيما بينهم قائمة على الغش والخداع، وقلّ منهم من يقيم علاقة على الود والإخلاص، حتى الأقارب، مما جعل الشاعر زين الدين طاهر،

(١)انظر تفصيل الأوضاع الاجتماعية فى : السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزى القاهرة ١٣٢٦ هـ ١ / ٣٨، وبدائع الزهور ٢ / ١٧٢، و مصر فى العصور الوسطى ٢٢٩، والأدب فى العصر الأيوبى، لمحمد زغلول سلام . ٣ / ٥٣ . دار المعارف ١٩٦٨ م.

(٢)كتاب السفينة لابن مبارك شاه (المخطوطة) ١ / ٣٤ .

بجهر بهذا المرض الخطير، الذى أدى إلى تفكك المجتمع وضياعه، فيقول ناصحا فى اختيار الصديق : (١)

توقَّ الذى فى النَّاس قد رقّ دينه ٠٠٠ وجانبْ أخا السوء الذى يتجنب
ولا تصطحب إلا الذى عنده تقىً ٠٠٠ وفى الله يمضى ثم في الله يغضب
وكل فتى أصحبتَه ليس عنده ٠٠٠ مصابرةٌ فى شدة ليس يُصْحَب
أقاربُنَا فى ذا الزمان عقارب ٠٠٠ بغفلتنا عنها تدب وتضربُ
فلولا لنا اللطفُ الخفىُّ ملازمْ ٠٠٠ لكنّا بأنواع العذابِ نعذبُ

وهكذا كانت تسير الحياة الاجتماعية فى العصر المملوكى، بالإضافة إلى تفشى المفاسد الأخلاقية، من شرب المسكرات، وتبرج النساء، واختلاطهن بالرجال من غير إنكار (٢) .

* * * * * * *

وإذا كانت هذه صورة الحياة الاجتماعية للعصر المملوكى، فان الحياة العلمية والثقافية قد ازدهرت ازدهارا واسعا، وصارت القاهرة آنذاك قبلة العلماء وحامية الأدب والعلم والحضارة العربية التى دكّ التتار حصونها فى الشرق، كما دك الأسبان قلاعها فى الأندلس فى الغرب، مما جعل الأدباء والعلماء فى إيران والعراق والأندلس يلجأون إلى مصر ؛ حيث الأمن، وحيث يمكن أن يتفرغوا للأدب والعلم، على الرغم من تردى الحياة الاجتماعية، إلا أن المماليك أولوا الحياة الثقافية اهتماما كبيرا . فلم يقتصر اهتمام الحكام على إنشاء المدارس والزوايا، بل اهتموا بتيسير وصول الكتاب لكل قارىء يريد الإطلاع، فكان لكل مدرسة مكتبتها الخاصة التى تشتمل على أمهات الكتب والمراجع . (٣)

(١)السابق، ١ / ٣٢

(٢)انظر، الأدب العامى فى مصر العصر المملوكى، د / أحمد صادق الجمال، القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ القاهرة ص ١٠

(٣)انظر تفصيل هذه الحياة العلمية والمدارس وأصحابها فى : الدارس فى تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى (ت ٩٢٧) تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامى للثقافة،١٩٩٨م . = =وانظر

وكان من مظاهر تلك النهضة العلمية الزاهرة، كثرة التأليف فى كل فن، وفى شتى العلوم التى أنتجتها عقول عباقرة العلم وأساطين المعرفة . (١)

كما ازدهرت حركة التدوين فى هذا العصر، وكان الجانب الأدبى أقوى ما عرف من هذا النشاط العلمى، فقد أطلق العلماء على هذا العصر : " عصر الموسوعات " و " دوائر المعارف "، ولعل السر فى ذلك إحساس العلماء والأدباء بالمسئولية والأمانة الملقاة على كواهلهم، فقد كانوا يقبلون على التأليف دون نظر إلى جاه أو مال، وإنما لشعورهم بواجبهم، وبخاصة بعد زوال دولة العلم فى بغداد وضياع كثير من المؤلفات والكتب فى شتىالعلوم و المعارف، مما كان دافعا لهم للقيام على نشر الدين وتحديد العلوم وجمع شتات المعارف وتصنيفها، لتكون دافعا عوضاً عما أبيد فى بغداد .

ومن ثم فقد خلَّف لنا هذا العصر تصانيف ومؤلفات وموسوعات عالية القدر والقيمة، لعلماء سيظلون قبلة للدارسين وطالبى العلم والمعرفة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : ابن منظور (ت ٧١١ هـ) صاحب لسان العرب، والنويرى (ت ٧٣٢ هـ) صاحب كتاب " نهاية الأدب " وابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٨ هـ) صاحب: مسالك الأبصار وابن هشام (ت ٧٤٩ هـ) صاحب المؤلفات الشهيرة فى النحو، وتقى الدين السبكى (ت ٧٥٦ هـ) وله مائة وخمسون كتابا، فى شتى العلوم والمعارف، وابن عقيل ت (٧٦٩ هـ) النحوى المشهور، والفيروز بادى (ت٨١٧هـ) صاحب " القاموس المحيط "، والقلقشندى ت (٨٢١ هـ) صاحب" صبح الأعشى " وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) صاحب كتاب " فتح البارى فى شرح صحيح البخارى " و " الإصابة فى تمييز الصحابة " وغيرها . والمقريزى (ت ٨٤٥ هـ)

كذلك . التعليم فى مصر من الأيوبيين إلى المماليك د / عبد الغنى محمود عبد العاطى، دار المعارف، ص ١٧٥

(١)راجع الحركة العلمية فى : الحياة العلمية والأدبية فى مصر (العصر المملوكى والعثمانى) د / محمد خفاجى مطبعة الكليات الأزهرية ١٩٨٤، ٣ / ٣٩، والحركة الفكرية فى العصر الأيوبى والمملوكى الأول د / عبد اللطيف حمزة، دار الفكر ص ٢٤

صاحب كتاب " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " وغيره، والعينى (ت ٨٥٥) صاحب كتاب " عقد الجمان "، وأحمد بن مبارك شاه (ت ٨٦٢ هـ) صاحب كتاب " السفينة " والذى يعد المصدر الوحيد لشعر " زين الدين طاهر "، والسخاوى (ت٩٠٢هـ)

صاحب " الضوء اللامع " وابن إياس (ت ٩٣٠ هـ) صاحب " بدائع الزهور "، وغيرهم من العلماء الذين أمدوا العرب والمسلمين بل الإنسانية كلها بزاد ثقافى لا ينضب .

كما قام الأزهر الشريف بعلمائه الأفذاذ، الذين رادوا حركة الفكر فى مختلف فروعه الإنسانية والإسلامية بدور بارز فى تلك النهضة العلمية، فقد أدى خدمات عظيمة للعلم فى مصر خاصة والشرق عامة، وكان وجوده السبب فى استعمال اللغة العربية صحيحة فى الخطابة والكتابة، وكذا فى انتشار العلوم والفنون . (١)

وقد أشار شاعرنا " زين الدين طاهر " إلى فضل العلماء ودورهم فى تنوير الناس، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وأنه لولاهم لضل الناس، ولرجعوا القهقرى إلى عصور التخلف والجهل، حيث يقول : (٢)

يقينا أن لا أحد يقينا ٠٠٠ إذا لم نتق كالمتقينا
وأن السر لو لم يسر فينا ٠٠٠ هلكنا من فعال المسرفينا
ولولا العلم والعلماء كنا ٠٠٠ ضللنا فى طريق الجاهلينا
ولو لم نقتدى بالعارفينا ٠٠٠ لكنا ترضى بالعارفينا

وهكذا يعطينا الشاعر " زين الدين طاهر " صورة واضحة وناصعة لدور العلماء فى ذلك العصر، وما كانوا يحملونه من مشاعل الهداية للإنسانية، ولكل من رام الهدى والعلا .

(١)انظر، مصر فى العصور الوسطى من الفتح المصرى إلى الفتح العثمانى، د / على إبراهيم حسن النهضة المصرية، ط ٥، ١٩٦٤

(٢)كتاب السفينة، لابن مبارك شاه، ١ / ٣٤

والخلاصة : أن العصر المملوكى (عصر الشاعر) قد أدى دورا واضحا فى تشكيل وتزويد (الشاعر) بالزاد الثقافى، فى كل مناحى الحياة، فجاء جلَّ شعره – الذى تحت أيدينا – مرآة انعكست فيها كل أحوال المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية .

زين الدين طاهر

(حياته وشعره)

أولاً : حياته . (نسبه – مولده – وفاته)

أورد أحمد بن مبارك شاه صاحب كتاب السفينة فى بداية اختياراته لهذا الشاعر قوله : " هذه النتف جمعناها من كلام الأمير " زين الدين طاهر[١] " وأورد فى نهاية الاختيارات عبارة للشاعر كتبها بخط يده يقول فيها : " أجزت لصاحبه شهاب الدين بن مبارك شاه جميع ما رواه عنى طاهر[٢] " ومن خلال هذه المقولة نقف على دلالتين : **الأولى** : أن " ابن مبارك شاه " و(الشاعر) كانا متعاصرين، وأن الأول أخذ هذه الأشعار التى وردت فى كتاب السفينة من (الشاعر) مباشرة، وهذا واضح فى المقولة التى كتبها (الشاعر) فى نهاية الأشعار التى أخذها منه " ابن مبارك شاه " .

الثانية : أن اسم الشاعر " طاهر " بالطاء وليس " ظاهرا " بالظاء كما أورد " ابن مبارك شاه " فى بداية الاختيارات، حينما قال : " هذه النتف جمعناها من كلام الأمير " زين الدين ظاهر "، ولعل ذلك غلط من الناسخ لعدة أسباب :

الأول : أنه من الصعب، بل من المستحيل أن يخطىء (الشاعر) فى كتابة اسمه، فقد وقّع بخط واضح باسمه "طاهر" مما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه .

الثانى : أن الشاعر نفسه ذكر اسمه فى شعره بلفظ طاهر، من مثل قوله [٣] :

ولا تأنفوا عن طاهر بن مترفٍ إذا ما ثوى فى القبر أن تترحموا

" ومترف " هنا ليس والده، ولعل المقصود هو نسبته إلى الترف والنعيم الذى كان يعيش فيه وهذا يشبه ما يُقال عن بعض من يعيشون فى رغد من العيش : " ابن عزٍ " نسبة إلى حالته الاجتماعية التى يعيش فيها .

---

(١)وردت كلمة (ظاهر) هكذا فى كلام المصنف والصواب ما ذكرناه من أنها (طاهر)

(٢)هذه العبارة كتبها الشاعر بخط يده، ووقع باسمه (طاهر) وليس (ظاهرا) كما أشار المصنف

(٣)السفينة، ٤٠/١

وعلى الرغم من ذلك فقد ورد اسم الشاعر فى موضع آخر من شعره بلفظ " ظاهر " بالظاء، وتفسير ذلك أن هذا خطأ من الناسخ، حيث تكرر مثلهذا الخطأ فى غير موضع فى المخطوطة فمرة نجد الطاء تكتب ظاء والظاء تكتب طاء ومثال الصورة الأولى ما ورد فيما اختاره من شعر "ابن عنين الدمشقى" حيث قال : (١)

(وظهرها) من رجسها بحسانه هُمَامٌ يرى كسب الثنا المغنم الأسنا

والمقصود طهرها لتتناسب مع المعنى المراد .

ومثال الصورة الثانية التى وردت فيها الظاء طاء قول الشاعر نفسه : (٢)

حفطت لها?لعهد?لذ ? ما?ضاعه .....

والمراد : حفظت، بالظاء لا كما ذكر المصنف .

الثالث : أنه بالبحث والتنقيب فى المصادر المهنية بهذا العصر لم نعثر على ترجمة لـ "زين الدين ظاهر" إلا عند "ابن إياس" صاحب كتاب (بدائع الزهور) ولم يذكر إلا تاريخ وفاته ؛ حيث ذكره فى وفيات عام ٨٥٦ هـ، يقوله : "وفى ربيع الأول توفى العلامة زين الدين ظاهر بن محمد النويرى المالكى" وهذا العام نفسه هو الذى ذكر فى وفاة "زين الدين طاهر" فى كثير من المصادر الأخرى . وهذا مما يعضد ويقوى ما ذهبنا إليه من أن اسم الشاعر (طاهر) بالطاء وليس (ظاهرا) بالظاء، ومما زاد من يقيننا أنه بمراجعة تاريخ مولده وتاريخ وفاته تبين أنه عاش فى الحقبة التى عاش فيها "ابن مبارك شاه" (ت ٨٦٢ هـ) الذى أخذ منه هذه الأشعار ورواها له .

ومن ثم يتجلى لنا اسم الشاعر هو "زين الدين طاهر" ولما كان الأمر كذلك لزم أن نشمر عن ساعد الجد، لنعرف من هو "زين الدين طاهر" .

والأمانة العلمية تقضى أن نشير إلى أن الباحث "أحمد علم الدين" الذى حقق الجزء الأول من كتاب السفينة "لابن مبارك شاه"، ونال به درجة التخصص (الماجستير) وكان الشاعر واجدا ممن اختار لهم "ابن مبارك شاه" وأورد لهم أشعارا فى هذا الجزء لم يصل إلى معرفة الشاعر، غير أنه أشار إلى أنه أى الشاعر كان

(١)السابق ١/١٧٢

(٢)السابق ١ / ١٧٣

معاصرا "لابن مبارك شاه"، وهذه الإشارة لا تساعد فى التعرف على الشاعر، بل انه أشار وصرح بأنه لم يعثر على ترجمة "لزين الدين طاهر" فيما وقع تحت يده من مصادر تخص العصر المملوكى الذى ينتمى إليه الشاعر، وأورد قائمة كبيرة من تلك المصادر، وصلت إلى واحد وعشرين مصدرا، لا يوجد بها تعريف ب"زين الدين ظاهر" مما جعله يصدر الحكم السابق وهو أنه لم يعثر على ترجمة لهذا الشاعر، وعلى الرغم من المجهود الذى بذله الباحث فى هذا الموضوع إلا أن حكمه اعتوره بعض النقص.

وذلك لعدة أمور :-

الأول : أن الباحث وجه كل بحثه عن ذلك الاسم : الذى ورد فى المخطوطة وهو "**زين الدين ظاهر**" ولم يلتفت إلى إمكانية أن يكون هو "**زين الدين طاهر**" مع ملاحظة أن جل المصادر التى ذكرها ورد فيها "زين الدين طاهر" لكنه لم يلتفت إلى ذلك، ولم يحاول تحقيق الاسم هل هو ظاهر أم طاهر ؟ .

الثانى : أن دراسة الباحث لم تكن منصبة على هذا الشاعر بعينه، وإنما كانت معنية فى المقام الأول بتحقيق ما ورد عن أشعار فى الجزء الأول من كتاب السفينة سواء لهذا الشاعر أو لغيره، لذا رأى أن عدم معرفته بهذا الشاعر لا تقلل من قيمة عمله .

الثالث : أنه لم يقيم بدراسة شعره، دراسة تستوجب معرفة الشاعر وأطوار حياته وظروفه الخاصة، حتى يتمكن من الحكم على النص حكما صحيحا، إذ النص جزء أصيل من شخصية قائله ومنشئه، وهذا لم يكن من صميم دراسته، مما جعله يصدر حكمه بأنه لم يعثر على ترجمة لهذا الشاعر، ولذا فان الباحث لم يصل إلى ما وصلنا إليه من أن الشاعر هو "طاهر" وليس "ظاهرا" كما بينَّا من قبل وسقنا من أدلة ترجِّح ما ذهبنا إليه .

ولما كان الأمر كذلك لزم أن نقدم لهذا الشاعر ونعرف به بناءً عما ورد عنه فى المصادر الأدبية والتاريخية .

وتشير المصادر إلى أنه "طاهر بن محمد بن على بن محمد بن محمد مكين الدين أبو الحسن بن الشمس بن النور النويرى ثم القاهرى الأزهرى المالكى، نسبة إلى المذهب المالكى، الذى برع فيه، وصار أحد فقهاء المالكية . (١)

وهذه السلسلة لنسبه ذكرها "السيوطى" فى نظم العقيان، وكذا "ابن تغرى يردى" فى النجوم الزاهرة، واكتفى "ابن إياس الحنفى" صاحب كتاب بدائع الزهور بذكر اسمه واسم والده كما أشرنا من قبل . (٢) والنويرى الواردة فى نسبه ليست من باب اللقب، وإنما هى من باب النسبة إلى النويرة تلك المدينة التى ولد بالقرب منها(٣) ومن ثم حلت هذه الإضافة كل اللقب .

وورد فى بعض المصادر أنه هو : "أبو القاسم محمد بن محمد بن على بن محمد النويرى القاهرى المالكى، اشتغل على علماء عصره ومهر وبرع ونظم ونثر وكان علامة . " (٤)

ومما سبق يمكن الوصول إلى نتيجة وهى أن اسم الشاعر واسم والده وجده ليس فيهما اختلاف، أما ما ورد قبل الاسم من ألقاب مثل زين الدين وأبو القاسم، فقد كانت مثل هذه شائعة ومنتشرة، مثل : موفق الدين وعلم الدين وناصر الدين وشمس الدين وشرف الدين إلى آخر ذلك، وكان يلقب بها الشخص حتى تصير علما عليه ولا يعرف اسمه إلا بالبحث والتنقيب .

---

(١)انظر، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ٤ / ٥

(٢)انظر النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى يردى تحقيق د / جمال الدين الشيال وفهيم شلتوت، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٢، ١٦ / ١٨ وانظر بدائع الزهور، ٢ / ٢٩٤ وانظر كذلك نظم العقيان للسيوطى، حرره فيليب متى "المكتبة العلمية"، بيروت ١٩٢٧، ص١٢٠

(٣)انظر الضوء اللامع ٤ /٥

(٤)شذرات الذهب فى أخبار من ذهب "ابن العماد الحنبلى دار المسيرة بيروت، ٧ / ٢٩٢، معنى اشتغل : " أن تعلم وحصل

أما مولده فقد اختلفت المصادر فى تاريخ مولده ؛ حيث ذكر "ابن تغرى بردى" أنه ولد فى عام ٧٩٠ هـ [١] ، وذكر "السخاوى" أنه ولد بعد التسعين وسبعمائة بقرية دنديل بالقرب من النويرة، وانتقل إلى القاهرة وحفظ القرآن وتلا به[٢]، وبينما نصّ "السيوطي" على أنه ولد بعد خمس وتسعين وسبعمائة [٣] .

وبمعارضة هذه التواريخ ببعضها لا نجد ثمة اختلافا كبيرا ؛ حيث لم ينص تحديدا بتاريخ مولده إلا عند "ابن تعرى بردى" وبقية المصادر أشارت إلى أنه ولد بعد التسعين وسبعمائة، وبعضها أشار إلى أنه ولد بعد خمس وتسعين وسبعمائة ومن ثم يمكن القول بأن مولده كان فيما بين عام ٧٩٠ وحتى بعد عام ٧٩٥، ومعنى ذلك أن مولده لم يتعد القرن الثامن، ومن الجائز أن يكون ولد فى أخريات القرن الثامن وقبل بداية القرن التاسع، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أننا أشرنا فيما أن "ابن مبارك شاه" كان معاصرا له، وكان يتردد عليه كثيرا ويدعو له بالبقاء وهذا يشير إلى أن "زين الدين طاهر" كان أكبر سنا من "ابن مبارك شاه" وبخاصة إذا عرفنا أن الأخير ولد عام ٨٠٦ هـ ومن ثم يمكن أن نقول إن "زين الدين طاهر" ولد فى المدة من ٧٩٠ هـ وحتى قبيل نهاية القرن الثامن الهجرى .

أضف إلى ما سبق أمرا آخر هو أن "ابن تغرى بردى" ذكر أن "زين الدين طاهر" مات سنة ٨٥٦ هـ وسنه نيفّت على ستين سنة [٤]، "فإذا أدركنا أن النيّف عند اللغويين من واحدة إلى ثلاث وقمنا بحذف المدة التى عاشها من تاريخ وفاته ٨٥٦ هـ وهى إما أن تكون احدى وستين أو ثنتين وستين أو ثلاثا وستين سنة، استطعنا الوقوف على تاريخ ميلاده الذى ينحصر فى أعوام ٧٩٣ هـ، ٧٩٤، ٧٩٥ هـ وهذا ما أميل إليه وأرجحه .

---

(١)انظر النجوم الزاهرة ١٦ / ١٨

(٢)انظر الضوء اللامع ٤ / ٥

(٣)انظر نظم العقبان، ١٢٠

(٤)النجوم الزاهرة ١٦ / ١٨

أما بالنسبة لتاريخ وفاته فقد اتفقت المصادر على تاريخ واحد، عدا مصدر واحد [١]، كما أنها اختلفت فى المكان الذى توفى فيه . فقد ذكر "ابن تغرى بردى" أنه توفى بالقاهرة فى يوم الاثنين خامس عشر من ربيع الأول سنة (٨٥٦هـ) [٢] .

وكذا نص "السيوطى" و"ابن إياس الحنفى" على أنه توفى فى ربيع الأول من سنة ٨٥٦هـ دون أن يذكرا مكان الوفاة [٣]، بينما ذكر "السخاوى" أنه توفى فى ربيع الأول من سنة (٨٥٦هـ) ودفن بتربة طشتمر حمص . أى فى سوريا [٤].

وقد خالف "ابن العماد الحنبلى" كل ما سبق ؛ حيث ذكر أنه توفى بمكة فى جمادى الأول من سنة ٨٥٧ [٥] .

ورأى أن هذا الرأى ضعيف من جهة سنة الوفاة، حيث أجمع أكثر المؤرخين أنه توفى فى عام (٨٥٦ هـ) وبالتحديد فى شهر ربيع الأول، بل إن بعضهم ذكر اليوم والتاريخ كما سبق بيانه، مما يدل علي الأرجح على صحة هذا التاريخ وهو عام (٨٥٦هـ) .

بعد أن انتهينا من بيان تاريخ ميلاد شاعرنا وتاريخ وفاته كان ضروريا أن نلقى بعض الضوء على حياته والحقيقة أن المصادر التى ترجمت له لم تذكر من النصوص ما يبرز ملامح هذه الحياة وأمارات شخصيته، أو أخبار أسرته بصورة واضحة ودقيقة.

والحق أن الشاعر لم يكن بدعا فى هذا الأمر، فشأنه فى ذلك شأن كثير من العلماء الكبار، من رواد الأدب العربى ورموز الفكر الإسلامى الذين لا نعرف عن حياتهم الخاصة والعامة من الحقائق ما يكشفها لنا ويجليها، ولعل السر فى ذلك أن المترجمين فى القرون السابقة كانوا لا يقفون أمام من يترجمون لهم وقفة متأنية،

(١) شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلى

(٢)النجوم الزاهرة ١٦ / ١٨

(٣)نظم العقبات، ١٢٠ وبدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤، ٢ / ٢٩٤

(٤)الضوء اللامع ٤ / ٦

(٥)شذرات الذهب، ٧ / ٢٩٢

يستقصون فيها كل ما يخصهم من حقائق ومعلومات، ومن ثم غابت عنا أخبار كثير من رواد العلم والأدب .

"وزين الدين طاهر" واحد من أولئك الذين مسّهم هذا الإهمال وذلك الإجحاف، ولا أدل على ذلك من سكوت المصادر عن ذكر سيرته، أو التعرض لأسرته ن ويزداد الأمر عجبا إذا عرفنا أن "ابن مبارك شاه" أثبت فى اختياراته لهذا الشاعر، أنه كان أميرا، ووردت أبيات شعرية على لسان "ابن مبارك شاه" يمدح منها "زين الدين طاهر" بأنه أكسب الوزارة التى تولاها فخرا ومكانة، فيقول :(١)

يقول خذوا مالى بغير مدائح ٠٠ ولا تتقبوا الأفكار فهى عناء
جوائز مدحى أن أفوز بمدحهِ ٠٠ ولو لم يكن عن لهاه عناء
مديحك "زين الدين" أسمى جوائزى ٠٠ وأرجو به عند الإله جزاء
كسوت من الفخر الوزارة ضعف ما ٠٠ كستك ولم تلمم فيك البخلاء
أقمتَ جدار الفضل بعد انقضاضه ٠٠ بماء حيا الخضر فيه جفاء
نظرتَ من العلياء حتى كأنما ٠٠ جميع الورى أرضٌ وأنت سماء

وعلى الرغم من تلك الإشارة من " ابن مبارك شاه" بأنه تولى الوزارة، فقد أحجمت المصادر التى كتبت عن "الشاعر" عن ذكر هذا الأمر، ولعل السبب فى ذلك فيما أرى – أنه لم يدم فى الوزارة طويلا، ذلك أنه – كما أشار "السخاوى" – كان مشتغلا بنشر العلم حتى صار من العلماء المعدودين المتفننين العارفين بالفقه وأصوله والعربية والقراءات وغيرها، لسالكين طريق أهل الصلاح والخير، وانتفع به الفضلاء وكثرت تلامذته، كما كان غير منفك عن الاشتغال والمطالعة ومزيد التواضع والخلق الرضىّ وحسن الشاكلة والبهاء والسكون، قلّ أن ترى الأعين فى معناه مثله، كما أنه ولى مشيخة الإقراء بجامع طولون بالقاهرة وبالجمالية، والفقه بالمدارسة الحسينية، ووصفة "القابانى" فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة بالإمام العلامة (٢).

(١)السفينة ٥ / ٤ / أ

(٢)انظر الضوء اللامع، ٤ / ٥

كما ذكره " السيوطى" بالصفات ذاتها، حيث قال [١]: " وصار أحد أئمة المالكية فى جمعه الفنون، جامعا بين العلم والعمل والتواضع والعفة والانقطاع عن الناس، ولى تدريس المالكية بالبرقوقية، وبمدرسة حسن والإقراء بالجامع الطولونى، وانتفع به الناس " .

وقال عنه "ابن العماد الحنبلى" [٢] أنه اشتغل على علماء عصره ومهر وبرع ونظم ونثر، وكان علامة ووصفه ابن تغرى يروى بأنه كان إماما عالما فقيها دينا صالحا [٣] .

وهكذا لم نرَ أحد الكتاب وقف وقفة متأنية موسعة بجلس فيها ما يخص هذا الشاعر من خصائص ومعلومات عن مراحل حياته، غيرما وجدناه من تلك الأوصاف العامة التى أوردناها، وهى فى ذاتها تعطينا صورة عامة لشخصية "الرجل" لكنها لم تمدنا بمراحل حياته الخاصة والعامة . ومن ثم يصبح القول بأن "زين الدين طاهر" كان وزيراً أمراً خاصا "بابن مبارك شاه" لم يذكره من كتبوا عنه، ولعل ذلك يرجع إلى أمرين :

أولهما : أنه لم يدم فى الوزارة طويلا، ومن ثم لم يعبأ الكتاب بذلك .

ثانيهما : أن صفاته الخلقية والعلمية طغت على هذا المنصب، فاكتفوا بذكرها دون غيرها من المناصب، وبناءً على ذلك تصبح أبيات "ابن مبارك شاه" تهنئة له بتوليه الوزارة، وفى أشعاره – المختارة – خير دليل على ما ورد من صفات خُلُقية ومنزلة علمية كما سنوضح – إن شاء الله – فيما يأتى :

ثانيا : مصدر شعره :

اعتمدنا فى تحقيق شعر "زين الدين طاهر" على كتاب السفينة "لأحمد بن مبارك شاه" والذى تبلغ أجزاؤه أربعة عشر جزءً، ويقع شعر الشاعر فى الجزء الأول من اللوحة٣٠ / ب، وحتى ٤٠ / أ، وعدد هذا الشعر (خمسة وعشرون بيتاً ومائتان)

(١)نظم العقبان فى أعيان الأعيان، ١٢٠

(٢)شذرات الذهب، ٧ / ٢٩٢

(٣)انظر، النجوم الزاهرة، ١٦ / ١٨

أجازها صاحبها "لابن مبارك شاه" ؛ حيث كتب بخط يده على اللوحة الأخيرة، " أجزت لصاحبه شهاب الدين بن مبارك شاه جميع ما ورد عنى ثم وقع باسمه "طاهر" .

وهذا بالطبع ليس كل شعره، وإنما له أشعار استطاع صاحب كتاب السفينة أن يأتى منها بهذه الأبيات، التى وصفها بأنها نتف من كلام الشاعر ومما يدل أيضا على أن له أشعاراً أخرى قول "ابن مبارك شاه" فى أوائل الأبيات التى يوردها :"قال من أبيات"، ويذكر بيتاً واحداً أو بيتين اثنين أو ثلاثة أو أكثر، ثم يقول :"ومنها"، أى من القصيدة، يذكر ما يريد ذكره من أبيات مما يدل على أن هذه الأشعار مختارة من أشعار أخرى، لكن – للأسف – لم يصل إلينا هذا الشعر، ولم نعثر عليه فى كتب التراث، أو الاختيارات، وبالتالى يصبح كتاب السفينة "لابن مبارك شاه" المصدر الوحيد لشعره، ولولاه ما تعرفنا على هذا الشاعر .

ولعل السر فى عدم وجود شعر "زين الدين طاهر" فى كتب التراث يرجع إلى سببين اثنين : أولهما : عدم قيام أحد بمجمع أشعاره كاملة، مما أدى إلى ضياعها واندثارها كضياع كثير من الكتب والدواوين لكبار الكتاب والشعراء .

ثانيهما : أن الشاعر بما كان يستنكف من إذاعة ونشر شعره، ولعل السبب فى ذلك أنه كان مشغولاً بالعلوم الأخرى والفقه على الأخص حتى صار أحد أقطاب المالكية، ولعل ذلك هو الذى صبغ شعره بالصبغة الفقهية .

وأن ما أورده "ابن مبارك شاه" لم يكن عن طريق الاختيارات، كما هو الحال مع بقية من اختار لهم، وإنما كان عن طريق الرواية، وهذا ما صرح به الشاعر حين قال : [(١)] "أجزت لصاحبه "شهاب الدين بن مبارك شاه" جميع ما رواه عنى" أى أن ما أورده "ابن مبارك شاه" أخذه من الشاعر مشافهة، وليس اختياراً من أشعاره المكتوبة كما فعل مع الشعراء الأخرين .

وبناءً على ذلك فان كتاب السفينة يُعد المصدر الوحيد لشعر "زين الدين طاهر" لذا فق اعتمدنا فى جمع الشعر وتحقيقه على هذا المصدر، ومهما يكن من أمر فان ما ورد فى هذا المصدر وقمنا بتحقيقه يمثل كمًّاً شعريا لا يستهان به فى

(١) السفينة ١ / ٤٠، أ

الدراسات الأدبية والنقدية، فعلى ضوئه نستطيع أن نستشرف الخصائص الفنية لشعر "زين الدين طاهر" ونقف على رؤيته الفكرية وموهبته الأدبية فيما نظم من شعر، وقد بلغ مجموع هذا الشعر (خمسة وعشرين ومائتى بيت) موزعة على قصائد ومقطوعات .

ثالثا : موضوعات شعره :-

الناظر فى شعر "زين الدين طاهر" الذى أورده "ابن مبارك شاه" يلحظ أن (الشاعر) صدر فى شعره عاطفة جياشة صادقة، وان اتسمت هذه الأشعار بسمة عصرها، من الإكثار من المحسنات البديعية والزخارف اللفظية .

وقد تنوعت موضوعات شعره، لكن غلبت عليها جميعا النزعة الإسلامية . مما يدل على تدينه وكريم أخلاقه وحميد خلاله . ويمكن تقسيم ما بين أيدينا من أشعار إلى **الموضوعات الآتية :**

١- مناجاة الله سبحانه وتعالى ورجاؤه :

استطاع الشاعر أن يسمعنا صوت هذه المناجاة، وذاك التمجيد الإلهى، الذى خرج من بين حنايا نفس تعلقت بحب الله سبحانه وتعالى، ومن قلب تغلغل الإيمان فى أوصاله، **ومن ذلك قوله :**

بحمدكَ ربَّ العالمين نوحِّدُ ولا أحد فى ذاك إلاك نحمدُ
لأنك رحمن رحيم بخلقه ومالك يوم الدين إياك نعبدُ
وإياك جئنا نستعين لتهدنا إليك الصراط المستقيم و ترشدُ
صراط الذين أنعمت فضلا عليهم لهم غير مغضوب وحاشاك يبعدُ
لقد شهد الله الذى جل ذكره وأملاكه مع ما أولى العلم يشهدُ
على أنه بالقسط ما زال قائما وأشهِدُهُ أنى بذلك أشهدُ

والشاعر كما نرى قد تمثل فى مناجاته لربه سورة الفاتحة أم الكتاب، بما فيها من آيات بينات تشتمل على الحمد والثناء والتمجيد لله رب العالمين، كما تشتمل على الدعاء والرجاء من الله بالهداية إلى الصراط المستقيم . كما تمثل فى البيتين الآخرين

قول الله جل وعلا : "**شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم**" (١).

ومن ذلك – أيضا – قوله مناجياً الرب جل وعلا :[البسيط]

يا من يجود على العاصى ويستره بحلمه وكبير الذنب يغفره
إن كان عفوك لا يرجوه ذو شرف من ذا الذى لكسير القلب يجبره

فهذا لون من ألوان المناجاة، يطلب فيه الشاعر العفو والمغفرة من ربه، ويقر بأنه محتاج إلي رحمة الله وكرمه، وأنه ليس له من دون الله من مكرم .

ومن ألوان المناجاة التي لجأ إليها الشاعر، الدعاء والاستعاذة من الشرور والآثام، ومن ذلك قوله : [الطويل]

أعوذ برب الباس والناس والفلق ورب الرجا واليأس من شر ما خلق
ومن شر وسواس ومن شر غاسق ومن شر خناس الصدور إذا التصق
ومن شر أفاك ومن شر حاسد ومن شر ذى زورٍ ومن شر ذى ملق
ومن شر ذى رأى ومن شر ذى رياً ومن شر ذى مكرٍ ومن شر ما افترق
ومن شر ما في الكائنات بأسرها ومن شر من خلق ومن شر ما أتفق
وأسأله عفواً وصفحاً وتوبة نصوحاً ومنجاة من الهدم والغرق

والملحوظ أن الشاعر قد تمثل فى دعائه هذا بعضا من آيات القرآن الكريم ؛ فقد نمثل فى البيت الثانى والثالث سورتى الفلق والناس، وهو بذلك يسأل الله أن يحفظه ويحصنه من الحسد ومن وساوس الشيطان . والظلام إذا دخل فى كل شىء، ومن شر المخلوقات بأسرها . ثم يسأل الله العفو والصفح والتوبة النصوح والنجاة من الهدم والغرق .

ومن ألوان المناجاة عند الشاعر – أيضا – الثناء والتمجيد فى ذات الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله : [الخفيف]

جل من يسر المقال ووالى بجميل سبحانه و تعالى
وبفضل قد ارتضى بقبول كل عبد من الذنوب استقالا

(١) سورة آل عمران الآية ١٨

ماله فى سلطانه من وزير ومشير سبحانه و تعالى
غافر الذنب قابل التوب مولى ذو عطاء وليس يخشى ملالا
جل عن مشيه له وشريك ومثيل سبحانه وتعالى
قد سما قدره وجل كمالا وعلا رفعة وعز جلالا

ونلحظ أن الشاعر فى كل هذا يتمثل معانى القرآن الكريم، ففى البيت الخامس نراه يتمثل قوله الله عز وجل :"غافر **الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله إلا هو إليه المصير**" (١)، وفى البيت السادس يتمثل قول الله جل وعلا :"**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**" (٢)، وهذا يدل على تدينه وإخلاصه وحسن علاقته بالخالق جل وعلا . وأشعاره فى هذا الموضوع تسير على هذا النحو من مناجاة الخالق وتمجيده ودعائه والتذلل إليه .

٢- **مدح الرسول ﷺ :**

من الموضوعات التى كثر دورانها فى شعره مدح النبى ﷺ وبيان خصاله وشمائله، وذكر أفضاله ورحمته على العالمين، ومن ذلك قوله فى بيان فضل النبى ﷺ فى محو ظلام الكفر وإحلال نور الهدى والحق : [الطويل]

محمد ماحى الكفر والشرك وانتفى به الظلم والعدوان و البغى وامتحق
ومن فر خوفا منه بالرعب هاربا فليس له إذ ذاك فى الأرض من نفق
فصيح مليح ليس فى الكون مثله فسبحان من أنشاه إذ شاء من علق
فحدد إليه الطرف وانظر تجد له جمالا وكل نحو ذلك قد رمق

وفى القصيدة نفسها يشير إلى جانب آخر من جوانب العظمة فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الشفاعة فى يوم الهول والكرب العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، فيقول :

وليس يرجى للشفاعة غيره إذا الهول والإرجاف والكرب لم يطق
يشفعه رب البرية فى الورى إذا ركبوا فيما هنالك عن طبق

(١)سورة غافر الآية (٣)
(٢)الشورى الآية (١١)

وهو فى البيت الثانى يشير إلى قول – الله جل وعلا – : "لتركبن طبقا عن طبق" [١] والمعنى أن رب العالمين بأذن لرسوله بالشفاعة، حين تصير الأمور حالا بعد حال فى الشدة والكرب، وهذا معنى قول (الشاعر) (إذا ركبوا فيما هنالك عن طبق) .

ومن ذلك قوله فى جوانب الخيرية فى رسول الله ﷺ [الكامل]

خير البرية أحمد الهادى الذى لفخاره كل المفاخر تنسب
لولاه ما اتقدت مصابيح الهدى من بعدما بالغى عم الغيهب
لولاه ما عرف الحلال ولم يكن فى أصل أحكام الشريعة مذهب
صلى عليه الله ما جن الدجى وجرى به فلك وأشرق كوكب

فهذه حقائق لا جدال فيها ولا مراء ؛ فرسول الله هو خير البرية، الذى تنسب إلى كل المفاخر والمحاسن، وهو الذى بنوره أشرقت الدنيا، بعدما عم الظلم والظلام مصداقاً لقول الله جل وعلا : "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين [٢] " . فالنور هو رسول الله ﷺ وهو الذى لولاه لعاش الناس فى جهل وضياع، لا يدرون الحلال أو الحرام ؛ لذا فالله قد صلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام فى كل وقت وآن إلى قيام الساعة . يقول تعالى : "إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " [٣]

والشاعر "زين الدين طاهر" لا يملك حيال هذه العظمة المحمدية إلا أن يسلم لله جل وعلا، ويعلن الشهادة، شهادة التوحيد، ويقر بأن الرسول أرسله ربه رحمة للعالمين، متمثلا قول الله جل وعلا : "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " [٤]

ومن ذلك قوله : [الطويل]

(١)سورة الانشقاق الآية ١٩
(٢)سورة المائدة الآية ١٥
(٣)سورة الأحزاب الآية ٥٦
(٤)سورة الأنبياء الآية ١٠٧

وأشهد أن الله لا رب غيره وأن رسول الله حقا محمد
وأرسله بالحق للخلق رحمة على منة الإسلام يا قوم فاحمدوا

وهكذا يسير الشاعر فى هذا الاتجاه من مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – جوانب العظمة فى شخصيته، وبيان منزلته ومكانته عند رب العالمين .

وهذا يشير إلى محبة الشاعر للرسول – صلى الله عليه وسلم – وامتثال سنته والعمل بمقتضاها، لذا جاء جلّ شعره فى مدح النبى وبيان شمائله وكريم خصاله .

٣- النصح والإرشاد :

شاع النصح والإرشاد فى شعر "زين الدين طاهر" بصورة واضحة، مما يعكس نزعته الإسلامية، واتجاهه الدينى، الذى صدر عنه فى شعره .

ولعل مما دفع الشاعر إلى مثل هذا الموضوع أوضاع الناس واحتياجهم إلى من يسدى إليهم النصح ويقدم لهم الإرشاد والتوجيه، ولا يصدر ذلك إلا من شاعر على دراية بأحوال الناس . وإحساس بمسؤوليته تجاههم . ومن ثم لم يأل الشاعر جهداً فى توجيه النصح والإرشاد بكل ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم ومن ذلك قوله : [البسيط]

إذا تيقنت أن الناس بالناس فلا تكن لجميل الناس بالناسى
فارع الجميل ولا تقطعه عن أحد ولا تكن ذا إساءات لمن ياسى
واستغفر الله عما من كل الذنوب لهم ومنهم لجراح القلب كن آسى
واستغن عما بأيدى الناس من عرض الدُّ نيا بيأس فإن القنع فى الباسِ
وقل أعوذ برب الناس من حسد واستكف من شر وسواس وخناس

وكما نرى أن النصح والإرشاد اشتمل على عدة معان، صدر فيها الشاعر عن ثقافته الدينية الإسلامية، وقد تجلى ذلك فى نصحه بأن يكون الانسان حافظا للجميل مقدراً للمعروف مكافئاً عليه، امتثالا لقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " . كما يتطلب من الانسان وبخاصة المؤمن، أن يرد

الإساءة بالإحسان والسيئة بالحسنة امتثالا لقول الله جل وعلا : "ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ." (١)

وكما أن الشاعر حرص على علاقة الأفراد ببعضهم وما ينبغى أن تكون عليه من الود والترابط والإخاء، فهو – كذلك – لا ينسى علاقة الانسان بخالقه، وما ينبغى أن تكون من المراقبة له سبحانه، واستغفاره من كل الذنوب والآثام مهما بلغت، وهو بذلك يتمثل قول الله جل وعلا :" ومن يعمل سوءً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما . " (٢)

ومن المعانى التى تضمنتها هذه النصيحة الدعوة إلى الاستغناء عما فى أيدى الناس، وعدم التطلع إلى ما لديهم من النعم والخيرات، وأن يقنع المرء بما وهبه الله وأعطاه، إذ الخير فى القناعة والرضا، وهذا موافق لما ورد فى الأثر : "ازهد فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ."

وفى نهاية هذا الإرشاد بأمر الشاعر كل مؤمن أن يحصن نفسه من الحسد ومن شر الوسواس الخناس باللجوء إلى الله تعالى وذكره، وهو بذلك يشير إلى المعوذتين .

" قل أعوذ برب الفلق" و"قل أعوذ برب الناس"(٣).

ومن صور النصح والإرشاد الدعوة إلى الإسراع فى الخيرات وعدم التأجيل أو التباطؤ، ومن ذلك قول الشاعر "زين الدين طاهر" : [البسيط]

وان عزمت على خير فكن عجلا ولا تؤخر فللشيطان تدبير
وكل كرب فمقرون به فرج لنا به ومع التعسير تيسير
وكل ما كان من ذنب ومن خطأ فان ذاك بالاستغفار مغفور

(١)سورة فصلت الآية ٣٤
(٢)النساء الآية ١١٠
(٣)سورتا الفلق والناس

والشاعر فى هذا يوجه دعوة إلى كل مسلم بأن يسارع إلى فعل الخيرات ولا يؤخر، فربما يعترضه الشيطان فيمنعه من فعل الخير، هذا وقد مدح الله سبحانه وتعالى فى قرأنه الكريم أولئك الذين كانوا يسارعون فى الخيرات، ويدعون ربهم رغبا ورهبا، فيقول الله تعالى عن سيدنا زكريا وزوجه وولده يحيى :"إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" (١)

ولم يكتف الشاعر إسداء هذه النصيحة، بل بين أمراً مهما، وهو أن كل كرب يعقبه فرج، وأن كل عسر سيعقبه يسر، ولعل الشاعر بهذا يعبر عما فى نفسه من ضيق وما يشمله من كرب، أو أنه يعبر عن نفوس الآخرين وما هم فيه من عسر وضنك، فيحاول التخفيف عنهم بهذه الحقيقة التى سجلها الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله : "فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً" (٢).

كما يشير الشاعر فى هذه النصيحة إلى أمر آخر وهو أن كل الذنوب يغفرها الله تعالى بالتوبة والاستغفار، وهذا ما ذكره الله فى القرآن، حيث قال تعالى :"فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً" (٣)

وهكذا يسير الشاعر فى هذا الغرض متأثراً بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وصادراً عن ثقافة إسلامية واسعة، ومن ثم جاءت نصائحه وإرشاداته مصطبغة بالصبغة الدينية .

ومن نصائحه فى المصاحبة واختيار الصديق قوله : [الطويل]

توقى الذى فى الناس قدرق دينه
وجانب أخا السوء الذى يتجنب

ولا تصطحب إلا الذى عنده تقى وفى الله يرضى ثم فى الله يغضب
وكل فتى أصحبته ليس عنده مصابرة فى شدة ليس يصحب

(١)سورة الأنبياء الآية ٩٠
(٢)سورة الشرح الآيتان ٥، ٦
(٣)سورة نوح الآية ١٠ .

فلا خير فى خل يرى ذنب خله و يعمى إذا عن ذنبه حين يذنب
ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة إليها و لكن الصحيحة تجرب

والأبيات – كما نرى – تتضمن نصحاً وإرشادا نحو اختيار الصاحب والصديق، فبين أنه ينبغى أن يكون الاختيار على أساس من الدين، بمعنى أنه لا ينبغى أن يصاحب المرء إلا من كان على قدر كبير من التدين والأخلاق الكريمة والتقوى ومراقبة الله سبحانه وتعالى، وذلك لما للصداقة من خطورة وأهمية فى حياة الانسان . وهو بذلك يتمثل قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ." فالشاعر من خلال هذا الهدى النبوى يضع مقياساً لاختيار الصديق، هذا المقياس هو الدين والتقوى .

٤ – الشكوى :

والشكوى من الأغراض الأدبية والشعرية، وهى تدور فى محيط الألم والأنين والشعور بالأسى والحرقة والأسف واللوعة، وكل ما يحيط بالأديب أو الشاعر وينزل به من محن وبلايا وكل ما يقع تحت تأثيره، ولا يستطيع تجاه ذلك كله إلا أن يرفع عقيرته بالشكوى معلنا عن تألمه، ولوعته وأسفه على ما يحدث له أو لغيره ممن تربطهم به وشائح وصلات، من خلال أشعار عالية النبرة مفعمة بالعاطفة الصادقة، والإحساس المرهف، تعبر عن نفس مليئة بالأنين والحزن، وقلب ملىء بمشاعر الألم والكمد .

ومن ثم فقد أسمعنا الشاعر " زين الدين طاهر " – فيما بين أيدينا من شعر– أنين الشكوى، فقال يشكو من الزمان ومشقته وضياع الصبر وقلة الحيلة ؛ [الطويل]

متى ينقضى هذا الزمان وكَلُّه لأن به ضاع التجلُّد كُلُّه
وقد كثرت فيه المشقة والشقى وقد قلّ فيه الصبر حتى أقلّه

والشاعر هنا لا يشكو من الزمام لذاته ، وإنما مما وقع له أو لغيره من ضيق ومشقة وعناء حتى تمنى أن ينقضى هذا الزمان وتلك الأيام المليئة بالعنت والمشقة .

ومن ألوان الشكوى عند الشاعر، الشكوى من نار الشوق والمحبة، وهذا الأمر يتعلق بوجدان الشاعر وإحساسه ومن ذلك قوله :[الوافر]

دعانى من ملامكما دعانى فداعى وجد من أهوى دعانى
وإنى كنت أرجو أن تكونا ترقا لى ودمعى أرْجوانى
برب كما إذا لم تجملا فى صنيعكما و الإ فاعزرانى
عنيت بما ألاقى فى فؤادى يصبّرن الإله كما بَلانى

ومن هذا اللون أيضا– الشكوى من صد وهجران المحبوبة، ومن ذلك قوله : . . . . . [الطويل]

على البعد والهجران والصِّد لا أقوى وريع اصطبارى والتجلد أقوى
يقولون لى أتعبت نفسك فى الهوى فقلت دعونى كل نفس وما تهوى

من ذلك – أيضا – قوله يشكو من بعد المحبوبة وصدها : [الخفيف]

أنا ممن بالعد والصد باءوا ودموعى تاءٌ وصادٌ وباءُ
وعلى أرض مهجتى وحشة قد أقفرتُها كأن فيها وباءُ

ومن مضامين الشكوى عند الشاعر، شكواه من أقاربه وأهله، من ذلك قولـه : . . . . . [الطويل]

أقاربنا فى ذا الزمان عقارب بغفلتنا عنها تدب وتضرب
فلولانا اللطف الخفى ملازم لكنا بأنواع العذاب نعذب

وهكذا تنوعت الشكوى فى شعر " زين الدين طاهر " فرفع عقيرته بالأنين مما وقع له فى الحياة، فشكا من الزمان وصروفه، ومن نار الشوق والمحبة، كما شكا من صد المحبوبة وهجرها ؛ ومن ظلم الأهل والأقارب، لكنه فى كل ذلك لم يصدر عن ضجر أو اعتراض على ما يحدث له، ولكنه التنفيس والبث لعله يجد سلوة فى بث شكواه ومشاركة الآخرين له فى إحساسه والتسرية عنه .

كما أن الشكوى عنده لم تتسم باللون الأسود أى لم يظهر منها اليأس والتشاؤم، بل أنه كان يلجأ إلى الله بالدعاء ليخفف عنه ما هو فيه ومن ذلك قوله فى الشكوى من نار الشوق والمحبة :

عنيت بما ألاقى فى فؤادى يصبّرنى الإله كما بلانى

ومنه قوله فى نهاية الشكوى من الأقارب :

فلولا لنا اللطف الخفى نلازم لكنا بأنواع العذاب نعذب

وهكذا يسير الشاعر فى شكواه على هذا النحو من طلب العون والصبر على ما أصابه وألمّ به .

٥- الغزل :

على الرغم مما اتسم به شعر " زين الدين طاهر " من نزعة إسلامية فقد وجدنا عنده الغزل، لكنه الغزل العفيف، القائم على رسم المشاعر و الأحاسيس لا رسم المرأة بزينتها ومفاتنها .

فقد اتسم غزله بذكر شمائل المحبوبة وخصالها الجميلة، بالإضافة إلى بعض الصفات الخلْقية التى تمتع بها، دون إسفاف أو إظهارها بصورة مبتذلة، ومن ذلك **قوله :** [الخفيف]

بلغ الجُهدُ بى لقلة صبرى مثل مَنْ قد أعطى قليلا وأكدى

يخجل البدرَ والغزالةَ نورا وكذاك الغزال جيدًا وقدا

تخرُس الألسن الفِصاح لديه بعد أن كانوا من قبل يدعون لدا

وهم كما نرى – يعدد بعضاً من صفات محبوبته، فهى تفوق البدر نوراً والغزالة جمالاً وخفةً، فضلا عن فصاحتها وحسن منطقها .

وفى صورة أخرى يذكر الشاعر " جمال لحاظ " محبوبته وسحر عيونها، التى تفتك بالقلوب، **يقول :** [الطويل]

خذوا حذركم إن سلّ سيف لحاظه ٠٠٠ فكل شهيد فى الغرام قتيله

شمائله دارت علينا شمولها ٠٠٠ وجنبات شمل الهجر طالت ذيوله

ومن الصور التى يعبر فيها عن مدى حبه وعشقه لمحبوبته وهيامه بها ورجائه إياها أن تتعطف عليه وترفق به، وترحمه قوله : [الطويل]

أما لك إشفاق أما لك رقةُ ٠٠٠ فليت نسيم المنحنى لى أما لك

أنا لك عبد كيف شئت تحكمى ٠٠٠ لقد جلّ من بالحكم فىّ أنا لك
فحنى وجودى وارفقى وتعطفى ٠٠٠ ورقى وواسى وارحمى وتدارك
فليتك لى يومًا من الدهر تسمحى٠٠٠ بوصلٍ وصدى واهجرى بعد ذلك

ولا يخفى ما فى الأبيات من عاطفة جياشة و إحساس مرهف، ومعاناة مما تركته المحبوبة فى صدره ونفسه من ولهٍ وحب، جعله عبداً لها نتحكم فيه كيف تشاء .

والمتمعن فى غزل " زين دين طاهر " يلحظ أمرين :

الأول : أنه غزل تقليدى من حيث مكانه فى أشعاره بمعنى أنه جعله فى بدايات ومقدمات القصائد، على غرار ما كان فى العصر الجاهلى، فقد كان الشعراء يصدرون قصائدهم لهذا الغرض، وكذا الحال فى العصر الإسلامى، فمن خلال الأشعار التى بين أيدينا لهذا الشاعر وجدنا أنه فى أغراضه الأخرى يبدأ بالغزل.

الثانى : أنه غزل عفيف، ليس فيه إسفاف أو ابتذال، أو تصوير يخل بمكانة المرأة وحرمتها، وإنما اعتمد عل رسم المشاعر والأحاسيس، مع الأخذ بذكر بعض الصفات الجمالية فى محبوبته، سواء كانت صفات حسية أو معنوية .

٦- الحكمة :

شاعت الحكمة فى شعر " زين الدين طاهر " بصورة تدل على تدينه وحسن عقيدته، واتساع خبرته فى الحياة، ومن ذلك قوله فى الموت وما فيه من موعظة **واعتبار :** [الخفيف]

كل شىء للناس فيه مجال واحتفال ما دامتِ الآجالُ
واحتيالٌ وحكمة وبلاغ لكنِ الموتُ ليس فيه احتيال
ما لنا عنه من محيصٍ ولكن ما برحنا تغرنا الآمال

ومن أقواله فى الحكمة – أيضا – ما يبين فيه قيمة التقوى، ودورها فى حياة المؤمن فضلا عن بيانه فضل العلماء، ودورهم فى هداية الناس: [الوافر]

يقيْناً أن لا أحدَ يقِينا ٠٠٠ إذا لم نتقِ كا لمتقينا
وأن السر لو لم يَسْرْ فينا ٠٠٠ هلكنا من فعال المسرفينا
ولولا العلم والعلماءُ كنا ٠٠٠ ضللنا فى طريق الجاهلينا

ولو لم نقتدِ بالعارفِينَا ٠٠٠ لكنا نرتضى بالعَارِ فينا
وأن الدهر مما يمتحنَا ٠٠٠ فلا ندرى أمنّا أم علينا

– – – – – –

و أبلانا الإله به ولكن ٠٠٠ يصَبّرنا الإله بما ابتلينا
وإن يمكر بنا أحد بسوء ٠٠٠ فإن الله خير الماكرينا
يديرنا ويرزقنا ثباتا ٠٠٠ ويجزينا جزاء الصابرينا
توكلنا عليه وقد علمنا ٠٠٠ بأن الفوز للمتوكلينا

– – – – – –

وبعد أن استعرضنا موضوعات شعر " زين الدين طاهر " الذى أورده لنا " ابن مبارك شاه " نلحظ أن الشاعر قد تناول فى شعره موضوعات عدة كما رأينا – لكنها تصدر كلها عن نزعة إسلامية، ومن ثمّ نستطيع القول بأن هذا الشعر صورة واضحة لصاحبه، ودالٌ على شخصيته ومظهر لأخلاقه، لذا فإنه يعد وثيقة صحيحة للتعرف إلى الشاعر من منطلق أن الأسلوب هو الرجل.

– – – – – –

قد عبّر الشاعر عن هذه الأفكار وتلك المضامين بأسلوب واضح وبألفاظ فصيحة جزلة، وإن اتسم شعره فى جُلّه بسمة عصره – كما أشرت إلى ذلك من قبل – وهى تفشى ظاهرة استخدام المحسنات البديعية والزخارف اللفظية، وقد استخدم الشاعر هذه المحسنات وتلك الزخارف فى شعره بنسبة غير قليلة، منها ما جاء طبعياً عفو الخاطر، مما أعطى صورة جمالية للأسلوب، ومنها ما جاء متكلفا مقحما، ومثل هذا النوع من الاستخدام للحسنات البديعية يقلل من جمال الأسلوب ورونقه .

وعلى أية حال فقد جاءت صور الشاعر وأخيلته واضحة وقريبة من ذهن المتلقى، ولا غموض فيها ولا إبهام، كما أنها تناسبت مع ما سيقت له من معانٍ ومضامين.

رابعاً : منهجنا فى التحقيق .

اتبعت فى تحقيق شعر "زين الدين طاهر" منهجاً علمياً أحسبه يوفر على الباحث كثيراً من الوقت والجهد، ويركز هذا المنهج على عدة نقاط :

(١) قمت بجمع شعره من مصدره الوحيد وهو كتاب السفينة، ووضعته بين دفتى ديوان بعد أن بينت موضوعاته وأعراضه .

(٢) رتبت جميع القصائد والمقطوعات التى تم تحقيقها حسب رويها الترتيب الهجائى فبدأت بروى الهمزة، وانتهت بروى الياء .

(٣) قمت بترقيم القصائد والمقطوعات، كما رقمت الأبيات المدرجة تحت كل قصيدة أو مقطوعة، وأعطيت لكل بيت رقما كررته فى أثناء توضيح بعض المعانى .

(٤) ذكرت البحر الذى تنتمى إليه كل قصيدة أو مقطوعة ونبهت على ما فى بعض الأبيات من خلل .

(٥) قمت بضبط جميع الأبيات ضبطاً دقيقاً يعين القارىء على صحة قراءتها وسلامة نطقها، ليصل إلى معناها ومغزاها فى سهولة ويسر .

(٦) قمت بشرح الألفاظ التى يمكن أن يكون معناها غامضاً على القارىء، واستعنت فى هذا بالمعاجم اللغوية .

(٧) قمت بتجميع الأبيات المتناثرة من القصيدة الواحدة ؛ حيث كان "ابن مبارك شاه" يورد كثيراً من الأبيات من القصيدة الواحدة، وبفصل فيها يقوله :"منها"، أى من القصيدة أو الأبيات، فلما أيقنت أنها من قصيدة واحدة، ولما كانت متسلسلة الأفكار متعانقة المعانى على الرغم من تفرقها جمعتها إلى بعضها، لتكوِّن القصيدة أو المقطوعة ذات وحدة متماسكة، وقدر دفعنى إلى ضمها أمران :

الأول : لو لم نقم بضم تلك الأبيات إلى بعضها لتعددت المقطوعات فى هذه الأشعار بصورة تصيب القارى بالتشتت وعدم التركيز ؛ حيث كان يورد صاحب كتاب السفينة بيتاً واحداً أو بيتين اثنين، ثم ينتقل إلى غيرهما وهكذا، مما دفعنى إلى ضم هذه الأبيات إلى بعضها لتشكل قصائد أو مقطوعات .

الآخر : رأيت أن ضم هذه الأبيات إلى بعضها يكون أفكاراً تامة المعانى متعانقة واضحة، نستطيع من خلالها الوقوف على الرؤية الفكرية والفنية لدى الشاعر .

(٨) صنعت لهذا الشعر عدة فهارس :

أولها : فهرس للقوافى والأوزان وعدد الأبيات فى كل قصيدة ومقطوعة .

ثانيها : فهرس للمصادر والمراجع .

ثالثها : فهرس للمحتويات .

[قافية الهمزة]

(١)

قال زين الدين طاهر : [الخفيف]

١. أنا مِمِنْ بالبُعدِ والصِّد باءُوا وذُمُوعى تَاءٌ وصَاد وبَاءُ
٢. وعلى أرضِ مُهجَتى وَحْشَةٌ قَدْ أقفرتها كأنَّ فيها وبَاءُ
٣. حَاكمٌ حكُمهُ تَعالى[١] قديمٌ حِكمةٌ أَذْعَنتْ لَها الحُكَمَاءُ
٤. طَاهرٌ أظهرَ العيوبَ ومَنْ قَدْ أَظْهَرَ العَيْبَ قَلَّ منهُ الحَياءُ

(الشرح) :

(١) باء إلى الشىء يَبُوءُ بَؤْءاً : رجع، وتاء وصاد وباء : يعنى تُصب، والمعنى : أننى اكتويت بنار البعد والهجران ؛ فجعلت دموعى تنهر وتصب .

(٢) الوباء : الطاعون، وقيل هو كل مرض عامٍ .

(٣) الإذعان فى اللغة الإسراع مع الطاعة، وقيل مذعنٌ منقِاد، وأذعن الرجل انقاد وسلس، وأذعن له أى خضع وذلّ، وبناؤه ذَعِنَ يَذْعِنَ ذَعَناً .

(٤) طاهر : الشاعر نفسه، وهو يقول عن نفسه – بعد أن مجد الله فى البيت السابق – أنه أظهر العيوب ووقع فى الأخطاء، وهذه شيمة من قلّ منه الحياء مع الله سبحانه وتعالى .

[قافية الباء]

(٢)

قال زين الدين طاهر : (الطويل)

١- يُريدُ بك اللُّطفُ الخفى مَتَابَا وُتدعى إلى الوعد الوفىِّ وتَابا

٢- وهل أنتَ إلا ذَاهبٌ لَيس يَرْتجِى إلى أهلِهِ بَعدَ الذِّهابِ إيَابا

وقال أيضاً :

٣- أبي[١] سيفُهُ في مَوْقِف الحربِ والوغَى فَلَمْ يَتَخِذْ إلا الرقاب قِرَابَا

(الشرح) :

(١) الوغى : الصوت، وقيل الوغى الأصوات فى الحرب، والوغى غمغمة الأبطال فى حومة الحرب، وقبل للحرب وغى لما فيها من الصوت والجلبة . القراب : غمد السيف والسكين وقرب قرابا وأقربه أعمله، وأقرب السيف والسكين : عمل لها قرابا، والمعنى أنه اتخذ من رقاب الأعداء قرابا وغمداً لسيفه، كناية عن شجاعته وبأسه .

(٣)

وقال من قصيدة فى مدح النبى ﷺ : [الكامل]

١- مَنْ لى بكشْفِ الحُجُبِ دونَ بصيرتى عَلَّي بذلك أبْلُغُ الأسْبَابَا
٢- لكنَّنى جَردتُ عَزْمى قَاصِداً بِقَصَائِدى قَصْداً ذُراه مُهابَا
٣- خَيرُ البريةِ أحمدٌ مَنْ دِينُهُ قَدْ عَطَّل الأزْلامَ و الأنْصَابَا
٤- بِشَرِيْعَةٍ حَنَفِيةٍ قد أضْرَبَتْ عمّا يُخالفُ شَرْعَهُ إضْرَابَا
٥- كل امرىء قَدْ شَرَّفتْهُ نِسبةٌ وهو الَّذى قَدْ شَرَّف الأنْسَابَا

(الشرح) :

(٢) ذراه : ذرْوة كل شىء وذُروَتُه : أعلاه، والجمع الذُّرى بالضم، وذروةُ السَّنام والرأس أشرفهاَ . مُهابا : الهيئة والمهابة هى الإجلال والمخافة، والمعنى : أنه توجه بقصائده إلى أشرف قصدٍ وأعلى قدر هو قدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

(٣) الأزلام : جمع الزُّلم بضم الزاى وهى السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، وفى التنزيل العزيز : "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق (الآية ٣، المائدة). والأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة، تنصب فَيُهَلُّ عليها، ويذبح لغير الله تعالي، والمعنى أن دين محمد – صلى الله عليه وسلم – جاء فهدم مثل هذه العادات التى لا تتوافق مع هدى الشريعة الغراء .

(٤)

وقال فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم [الكامل]

١- ما إنْ بَدتْ فى الشرقِ منّى أنّةٌ إلا تَحرَّقَ من لظَاهَا المغربُ
٢- لا تَعْجَبُوا لِنُحُولِ جِسمى بعدَهم لَكِنْ حَياتى بَعْدَ ذَلكَ أعْجبُ
٣- ولو استَطعتُ لكنتُ من شَوقى لَهم أبَدَاً أسِيرُ وليسَ لى مَا أركبُ
٤- فى كل شَأنٍ [لا أَهابُ] وَلَمْ أكُنْ من عُظْم أَهْوَالِ المَشقةِ أرْهَبُ
٥- حَتى أُشاهِدَ أرضَ من زُويتْ لهُ كلُ البسيطةِ شَرْقُها والمغربُ
٦- خيرُ البريةِ أحمدُ الهادِى الذى لِفَخَارِهِ كل المَفَاخِرِ تُنسَبُ
٧- لولاهُ ما اتقدت مَصَابِيح الهُدي من بعدها بالغىِّ عمَّ الغَيْهبُ
٨- لولاهُ ما عُرِفُ الحلالُ ولم يكنْ فى أصْلِ أحكامِ الشَرِيْعةِ مَذْهَبُ
٩- صلّى١ عليه اللهُ ما جَنَّ الدُّجَى١ وجَرَى به فَلَكٌ وأشْرَقَ كَوْكَبُ
١٠- وعلى جَمِيْعِ الآلِ والصَّحبِ [الأُلى] لِفَخَارِهم كُلُّ المَفَاخِرِ تُنْسَبُ

(الشرح) :

(٤) [لا أهاب] زيادة من عندنا ليستقيم الوزن والمعنى .

زويت : الزى مصدر زوى الشىء يزويه زيا وزوياً فانزوى، نحَّاه فتنحى . وزويت الشىء : جمعنه وقبضته . وفى الحديث : أن الله تعالى زوى لى الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها، وزويت لى الأرض : جمعت ومنه دعاء السفر : وازولنا البعيد، أى اجمعه واطوه . (٧) الغيهب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه، وليل غيهب مظلم، والغيهب الظلمة والجمع الغياهب، والمعنى أنه لولا الرسول وما بعث به من نور الهداية لظل الناس فى ظلام الجهل والغى والظلم . (٩) الدجى : سواد الليل مع غيم، وألا ترى نجما ولا قمرا، وقيل إذا ألبس الليل كل شىء، وليس هو من الظلمة، والمعنى أن الله يصلى على نبيه محمد دائما أبدا ما تعاقب الليل والنهار وسارت الأفلاك وأشرقت الكواكب .

فى الأصل (الذى) والصواب ما أثبت ليستقيم المعنى .

(٥)

وقال فى الصداقة والمصاحبة : [الطويل]

١- تَوقَّ الذى فى النَّاسِ قَدْ رقَّ دينُهُ وَجَانِبْ أخَا السُوءِ الذى يُتَجنّبُ
٢- ولا تَصْطَحِبْ إلا الذى عنده تُقيً وفى اللهِ يرْضَى[1] ثُّم فى اللهِ يَغْضَبُ
٣- وكل فتيً أصْحبتَهُ ليسَ عندهُ مُصابرةٌ فى شِدةٍ ليس يُصْحَبُ
٤- فلا خيرَ فى خلٍ يَرى[1] ذنبِ خِلهِ ويعْمى إذًا عَنْ ذنبِهِ حِينَ يُذْنِبُ
٥- ولا ينفع الجَرباءَ قُربُ صَحيحةٍ إليها ولكنَّ الصحيحةَ تُجرَبَ
٦- أقارِبُنَا فى ذا الزمانِ عقاربٌ بِغَفْلَتِنَا عنها تَدب وتضرِبُ
٧- فلولا لنا اللُّطفُ الخفيُّ مُلاَزمٌ لكنّا بأنواع العذابِ نُعذّبُ

(الشرح) :

(١) توقَّد : أى تجنب واحذر، واتقيت الشيء وتقيتُه أتقَّيه و أتْقّيه تقى وتقية وتقاءً : حذرته . رق دينه : ضعف إيمانه . والمعنى : يوصى الشاعر بدقة اختيار الأخلاء، ومجانبة من لا يعرفون قدر الصداقة والصديق، ولا يؤمنون على الأسرار ولا يصبرون فى الشدائد والملمات .

(٦)

وكتب إليه "شرف الدين بن الشيخ أحمد" يقول : [السريع]

١- العبدُ بالبابِ لَهُ مُدةٌ يَدْعُو وَلكِنْ مَا لَهُ مِن مُجيبْ

٢- مُسْتَمْطِرٌ مِنْ فَيضِ إحْسَانِكم نصرٌ مِن اللهِ وفتحٌ قَريبْ

فكتب إليه هذا الجواب : [السريع]

١- ثِقْ بالذى يعْدِلُ بين الورى[١] واصبرْ ففى الصبرِ حَديثٌ عجيبُ

٢- لَعَلَ يأتيكَ على بغتةٍ نصر من اللهِ و فتح قَريبُ

[قافية الدال]

(٧)

قال بمدح النبى صلى الله عليه وسلم : [مخلع البسيط]

١- محمدٌ خيُر من دَعَانا وقَدْ هَدَانَا إلى[١] الرشـادِ
٢- ومَنْ آتَانَا بِبَيِنَاتٍ مُعانِدَاتٍ لِذي عِنَـادِ
٣- ومُعْجِزاتٍ مُعجِّزاتٍ قد أَعْجَزتْ من لَهُ يُعادي
٤- تَطَاولتْ نَحوها عُيونٌ وقَصَّرتْ دُونَها الأيـادي
٥- به أخُو العِلمِ فى صَلاحٍ كما أخُو الجَهلِ فى فَسـادِ
٦- يا خيرَ منْ خُصَّ فى البرايا بالنطقِ مِن أَلْسُن الجَمـادِ
٧- صَلى[١] عليكَ الذى هَدانَا لأن نُصلى عَلى اتحـادِ
٨- ما لاحَ برقٌ وسَاحَ ودْقٌ ونَاحَ وُرْقٌ وصَاحَ حَـادِي
٩- والآلِ والصحبِ مَنْ أقاموا شَعَائِرَ الدِّينِ باجْتَهـادِ

(الشرح) :

(٣) مُعْجزات : واحدها مُعْجِزة، وهى أمر خارق للعادة يجريه الله على يد نبى من أنبيائه برهانا على رسالته ودليلا على دعوته . معجِّزات : من التعجيز وهو التثبيط وعدم القدرة على الوقوف أمام المعجزة . والمعنى : أن النبى – صلى الله عليه وسلم – أتاه الله معجزات باهرات أعجزت المعاندين والمكابرين، وكانت دليلا على صدق رسالتِهِ .

(٨) الودق : المطر كله شديده وهيِّنه، وقد ودق يدقُ ودقا أى قطر . الورق الحماموواحدها، ورقاء . الحادى : الحد وسوق الإبل والغناء لها .

والمعنى : يطلب الشاعر من الله – جلّ وعلا – الصلاة على النبى فى كل وقت وآن من ليل أو نهار عند ظهور البرق ونزول المطر، وشد والحمام، وسير الإبل .

(٨)

وقال يلوم نفسه على التقصير فى الاجتهاد : [الطويل]

١- تكاسلت حتى إننى قلَّ ما عندى وصِرتُ كأنّى لا أُعِيد ولا أُبْدى
٢- وأَنْفَقتُ فى المعْدُومِ مَوْجُودَ حَاصِلى وَمَا صحَّ لِى فِيْما وجَدْتُ سِوى[1]الفَقْدِ
٣- وحَمّلَنى دَهْرِى هُمُوَماً كثيرةً وخَصصنِى دون الأنَامِ بِها وَحْدى
٤- وأَشْقَيتُ نَفْسِى والنعيمُ لغيرِها ومِنْ سَفَهي بِعتُ المؤَجَلَ بالنَّقدِ
٥- وضَيعتُ أوْقَاتَ الزَّمانِ تَعمُدا فلا غَرو أني قَدْ نَدِمتُ علي العَمْدِ
٦- وما ذَاكَ إلا مِنْ تَقاصُر هِمتِي وقِلةِ عَزْمي والقُعادِ عن الجَّدِ
٧- وأشبهتُ أنى قَدْ رِكبتُ مَطيتى وسِرْتُ إلى أنْ قَدْ قَرُبتُ من الوِرْدِ
٨- فتهت وضُلِّلتُ الطريق ولم أجد دليلاً فلما أن خَشِيْتُ من الرَّد
٩- تَوَسلْتُ بالهادى الذى بِمديحهِ سَألْتُ الهى، لى إليه به يهدى
١٠- محمد أولى من لَهُ يُعقدُ اللوا ولولاه لم يُسمَ اللواء لوا الحمدِ
١١- وقد جُمِّعتْ فيه المحامد كُلُها ولكنَّها جلَّت عن الحصر و العدِّ
١٢- وما زالَ يَرْقَى[1]حَائزاً قصَب العُلا إلى رُتبَةٍ مِنْ دونها رُتبُ المجدِ

(الشرح) :

(٧) المطية : كل ما يمتطى ويركب عليه من الإبل وغيرها . الوِرد : الماء الذى يُورد والوِرْد : الإبل الواردة، والمقصود فى البيت المعنى الأول .

(٨) فى الأصل ضليت والصواب ضللت.

(١٢) القَصَب والقصْبُ: قطع الشيء، ويقال حاز قصب السبق أى استولى على الأمد، والمعنى : أن النبى – صلى الله عليه وسلم – استولى على الدرجات العلا فى الأفعال والخصال .

١٣- أما و الذى لا رب يُعبد غيرُهُ وجلّ عن التشبيه والضد والنِّدِ
١٤- لقد دَلَّ ما فى الكائناتِ بأسرها على أنَّهُ الفَرَدُ القريبُ من الفردِ
١٥- وذلك قُربٌ ليس قُربَ مسافةٍ ولكنَّهُ قُربٌ تنّزه عن بُعْدِ

---

(١٤) الفرد الأولى : الواحد الذى لا ثانى له . ويقصد النبى – صلى الله عليه وسلم – الذى تفرد بالصفات العالية والأخلاق الحميدة حتى صار فرداً فيها لا ينازعه أحد، والفرد (الثانية) المقصود بها الله – جل وعلا – وهو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا مثل، وهو ليس من صفات الله تعالى .

والمعنى : أن النبى – صلى الله عليه وسلم – بأخلاقه وصفاته الحميدة صار قريباً من الله سبحانه وتعالى، ليس قرب مكان، وإنما قرب منزلة وتقدير .

(٩)

وقال : [الخفيف]

١- بَلَغَ الجُهْد بى لقلة صبرى مِثْلَ مَنْ قد أعطى قليلاً وأكدى[١]
٢- يُخجِل البدرَ والغزالةَ نورا وكذاك الغزالَ جيداً وقدَّاً
٣- تخرُس الألسن الفِصَاح لديه بعد أن كانوا قبل يدعون لُدَّا

(الشرح):

(١) أكدى : أكدى الرجل : قلَّ خيره، وقيل المُكْدى من الرجال الذى لا يثوب له مال ولا ينمى، وكدى الرجل يكدى وأكدى قلل عطاءه وقيل بخل، وفى القرآن الكريم :"وأعطى قليلا وأكدى" .

(٢) القد : القامة، يقال غلام حسن القد أى الاعتدال والجسم .

(٣) اللُّد والألد : الخصم الجدل الشحيح الذى لا يزيغ إلى الحق .

ومعنى الأبيات : أن الشاعر يبين أن الجهد قد بلغ به مبلغاً عظيماً، ولم يعد صابراً على هذا الجمال الآخاذ لمحبوبته، فقد فاقت البدر والغزالة نوراً وجمالاً، وفاقت كل الألسنة فصاحة وبيانا .

(١٠)

وقال فى مناجاة الله سبحانه وتعالى : [الطويل]

١- بحمدكَ ربَّ العالمينَ نوحِّدُ ولا أحد فى ذاكَ إلا ونَحْمَدُ
٢- لأنَّك رحمنٌ رحيمٌ بخلقِهِ ومالِكُ يوم الدينِ إياكَ نَعْبُدُ
٣- وإياك جئنَا نستعين لتهْدِنَا إليك الصِّراطَ المُسْتَقيمَ و تُرْشِدُ
٤- صراطَ الألَى أنعمت فضلا عليهم لهم غير مغضوبٍ وحاشاك تُبعِدُ
٥- لقد شهِدَ اللهُ الذى جَلَّ ذِكرُهُ وأملاكُهُ مع ما أُولِى العلم يَشْهدُ
٦- على أنَّهُ بالقسطِ ما زال قَائِما وأَشْهِدُهُ أنىّ بذلك أشْهَدُ
٧- وأشهدُ أن الله لا ربَّ غَيْرهُ وأنَّ رَسُولَ اللهِ حقا محمدُ
٨- وأرسَلَهُ بالحَقِّ للخلْقِ رحْمةً على مِنَّةِ الإسلاَمِ يا قوم فاحمدُوا
٩- من استحتِ الأمْلاكُ مِنْ نُور وجْهِهِ وإن خطر الأفلاك للأرض تحسدُ
١٠- وان قستَ كفيهِ السحابَ لجودها فجودهما واللهِ مِنْ ذَاكَ أجْودُ
١١- و إلا وقد فاضت زلالا حقيقةً بلا زللٍ و الكل للماء أوردُ
١٢- وان قيلَ فى شكرِ الكريم وبالغُوا فُلأنٌ نَدى الكف فى المدحِ جودُ
١٣- وما كانَ فى هذا مجازاً لغيرِهِ فانَّ لَهُ فيه الحقيقةُ تُوجدُ
١٤- وأين النَّدى ممن تفجّر إذ جرى كَبحرٍ عَليهِ مَوْرِدٌ ثُّم مَوْرِدُ
١٥- وَقَدْ قَالَ رَبُّ العَالمينَ بأنّهُ كَرِيمٌ ومِنْ ثَّم المكَارمُ تُوجَدُ
١٦- وَقَدْ قَرنَ الاسمَ الكريمَ بإسمهِ فَلا مسلمٌ إلاّ بهِ يتَشهدُ
١٧- ونَاهيكَ باسمِ الذاتِ قدرٌ وماحَوى(١) مِن العِلم والتَبجِيل ما ليسَ يُجحدُ
١٨- أضَافَ لَهُ كل المحامدِ مِثْلَمَا لَهُ الحمدُ فى الأولى وأُخْرَى(١)مُؤَبدُ
١٩- فَيَا مَعْشَر المُدّاحِ أنَّى اسْتَطعْتم إلى مَدْحِهِ أنْ تَنْفُذُوا فيه فانْفُذُوا
٢٠- ولا تَنْفُذُوا إلا بِسلْطَانِه الذى لَهُ الفَتحُ والنَّصرُ العَزيزُ مؤيِدُ

(الشرح) :

(١١) زلالا : الزلال : الماء سريع النزول، وماء زلال : بارد، وقيل : ماء زلال وزلازل : عذب، وقيل صاف خالص، وقيل الزلال الصافى من كل شىء .

٢١- هنيئاً لِمنْ أمسى لدى باب جوده يجود ببذلِ المدح بالحد يجهدُ
٢٢- وأصبح ذا حُجْزٍ بحجرته التى بها كلُ محجورٍ رشيد ينشدُ
٢٣- أناشدكم بالله يا قوم كلما سمعتم مديحى وهو بالباب ينشدُ
٢٤- هَنَالِكَ قُولوا طَاهِرًا بَعْدمَا اختفى تَظَاهَرَ حتَى كَادَ بالمدحِ يحُسدُ
٢٥- وكيف ولِمَ لا والمديح على المدَّى وفى الذكر يُتلى دائماً ليس ينفدُ
٢٦- وَمَنْ لى بأنِّى لن أكون خُويْدما لمدَاحِهِ عَلَى بِذَلكَ أسْعَدُ
٢٧- وانْ كنتُ لا أُدعى خديما فإنَّنى طُفيلي على أبْوَابِهِم أترددُ
٢٨- وحاشا لطه أن يخيّب قاصداً إليه فقيراً وهو للخير مَقْصِد
٢٩- عليهِ صلاةُ اللهِ فى كل لحظةٍ نجدّ بها بعد الجديدين جيدُ
٣٠- كذا الآلُ والصحُب الذين بأيهم إذا ما اقتديتم فى الحقيقة تَهْتَدُوا

(٢٢) ذا حجز : الحجز : العفيف الطاهر، والحَجْز : الفصل بين الشيئين،
والمعنى : أنه يقصد النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه أصبح حتى وهو فى حجرته وقبره فاصلاً وحاجزاً بين الحق والباطل، و أو أنه أصبح ذا منعةٍ حتى وهو فى حجرته، كناية على غلو قدره وسمو منزلته – صلى الله عليه وسلم – .
(٢٩) الجديدان : الليل والنهار، وذلك لأنهما لا يبليان أبداً، يقال : لا أفعل ذلك ما اختلف الأجدان والجديدان أى الليل والنهار .

[قافية الراء]

(١١)

وقال في الإسراع إلى فعل الخير . [البسيط]

١- وإنْ عزمتَ علي خيرٍ فكن عجلا ولا تَأخر فِلْلشيطانِ تدبيرُ

٢- وكلُ كَربٍ فَمقْرُونٌ به فَرجٌ لَنا بِهِ ومع النْعِبير تَيْسِيرُ

٣- وكل من كانَ مِنْ ذَنْبٍ ومِنْ خَطَأٍ فإنَّ ذاك بالاسْتغْفَارِ مَغْفُورُ

(الشرح) :

(١) تأخر : أصله تتأخر حذفت تاء المضارع . ويصح أن تكون ولا تؤخر .

(٢) مقرون : القَرْنُ الشد والجمع، يقال : قرن الشيء بالشيء، وقرنه إليه قرناً شده إليه، والقَرَن بالتحريك الحبل الذى يُشد به الشيئان، ومنه حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – : "الحياءُ والإيمان فى قرنٍ" أى مجموعان فى حبل أو قِران .

(١٢)

وقال فى المناجاة : [البسيط]

١- يا مَنْ يجودُ على العاصى ويسترهُ بحلمِهِ و كبيرُ الذنبِ يَغْفِرُه

٢- إنْ كان عفوك لا يَرْجُوهُ ذُو شَرَفٍ مَنْ ذا الذى لِكَسِير القلبِ يَجْبُره

* * * * * * * * *

٣- وهو البشيرُ النذيرُ الهاشمى ومَنْ بدا سراجاً منيراً راقَ منْظَرُه

٤- مقامه لم ينله قطُّ من أحدٍ وحوضه ولواه ثُّم كَوْثَرُه

٥- وَعِيْدُهُ لأعاديه و سَطْوَتُه لو صَادَمتْ جَبَلاً كانت تفطُرُه

(الشرح) :

(١)،(٢) البيتان الأول والثانى فى مناجاة الله سبحانه وتعالى .

(٣) البيت الثالث وما بعده فى مدح النبى – صلى الله عليه وسلم – . وأن الرابط بين البيتين الأولين وبقيه الأبيات هو الوزن والقافية .

(٥) فطر الشىء يفطره فطراً فانفطر وفطرّه : شقه، وتَفَطَّر الشىء : تشقق ومنه قول الله سبحانه وتعالى : "إذا السماء انفطرت ." أي انشقت .

[قافيه السين]

(١٣)

وقال فى الزهد : [البسيط]

١- واستغنَ عن عرض الدنيا فانَّ لَها حَرْثاً ولكن مع الأيام يَنْدَرِسُ

(الشرح) :

(١) الحرث : متاع الدنيا، وكسب المال وجمعه، وفى التنزيل العزيز : "ومن كان يريد حرث الدنيا" أى من كان يريد كسب الدنيا . يندرس : درس الشيء والرسم يدرس دروساً : عفا، والمعنى : لا تنظر إلى زينة الدنيا ومتاعها ولا تتعلق بزخرفها فكل ذلك إلى زوال .

(١٤)

وقال ناصحاً : [البسيط]

١- إذا تيقنتَ أنّ النّاس بالنَّاس فَلا تكُنْ لجَميلِ النَّاس بالنَّاس
٢- فارعَ الجميلَ ولا تَقْطعهُ عن أحدٍ ولا تكُنْ ذَا إسَاءاتٍ لمنْ يَاس
٣- واستغْفِرِ اللهَ من كلِّ الذنوبِ لَهم ومنهم لجِرَاحِ القلْبِ كُنْ آسى
٤- واستغَنَ عما بأيدى النَّاس من عرض الدْ نيا بيأسٍ فإنَّ القنع فى الياسِ
٥- وَقُلْ أعوذُ بربِ النَّاسِ منْ حَسَدٍ واسْتكفِ مِنْ شَرِ وسْوَاسٍ وخَنّاسِ

(الشرح) :

(١) الناس الأخيرة : ضد الذاكر، والنسيان : ضد الذكر، والجناس واضح فى البيت .

(٢) يأس : أساء الرجل إساءة : خلاف أحسن، وأساء إليه : نقيض أحسن إليه.

(٣) أسا . الأسا، مفتوح مقصور : المداوة والعلاج . وأسا الجّرح أسواً وأساً داواهُ والجمع آسية . و الإساء، ممدود مكسور: الدواء بعينه، ويمكن أن يكون جمعاً للآسى.

(٥) وسْوَاس : الوسْوسة والوسواس : حديث النفس يقال : وسْوَستْ إليه نفسه وسْوسةً و وسواساً . والوَسواَس بالفتح : هو الشيطان . وكل ما حدثك ووسوس إليك ومنه قول الله تعالى : "من شر الوَسْوِاس الخناس" . خناس : الخنوس : الانقباض، والاستخفاء . والخناس هو إبليس يوسوس فى صدور الناس فإذا ذكر الله خنس .

[قافية الشين]

(١٥)

وقال فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم [الطويل]

١- نَبىٌّ ترقَّى فى سما القلبِ فانْتَهى وَفى عَرْشِ كُرسي المحبةِ يَعْرِشا

(الشرح) :

(١) العرش : سرير المَلِك، وهو أيضا البيت وجمعه عروش، ومنه عرش الرحمن، لا يحدُّ، والجمع أعراش وعروش وعرَشَةٌ . ويَعْرِشُ ويَعْرُش عرشاً ، أى بنى بناءً من خشب، والعرش خيمة من خشب وثمام . والمعنى : أن حب النبى – صلى الله عليه وسلم – قد تمكن من قلبه لا يفارقه، فكأنه بنى له فيه بيتاً، وهذا مما يدل على حب الشاعر للرسول – صلى الله عليه وسلم – .

---

(١٦)

وقال مواليا :

١- لأحمدَ الصَّرْفُ مَمْنوعٌ لماَ يخْشَاهْ أنَّ الشِّهابّ ظلامَ اللَّيلِ لا يَغْشَاْهْ

٢- يباركُ اللهُ فى شَهرٍ قدمتَ بِهِ مع المشيْئَةِ فيما اللهُ لى قد شَاهْ

والفالُ قَدْ قال والدْكُم مُبَارَكشْاهْ

وكرره فقال مواليا :

١- لأحمدَ الصَّرفُ عن ذى الجود لا يخشاهْ تبارك اللهُ فيما منه قَدْ أنساهْ

٢- لما يَشاولَهُ التقديرُ فيما شاهْ مُبَاركٌ مِنْ أبٍ يُسمّى مُبَاركشاهْ

(الشرح) :

(٢) مبارك شاه : صاحب كتاب السفينة، وكان معاصراً للشاعر .

[قافية العين]

(١٧)

وقال فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم : [الخفيف *]

١–البكا والمدى[1]معا أعدمانى الَمدامعا وعَدِمتُ المنَافعَ مذ ترعرعتُ يافع

٢–يا خليلىّ عرجّا بي إذا عَسْعَسَ الدجى لحمىَ مَنْ به لرَّجَا فيه والقَلبُ والِعَا

٣–وبه اللهُ خَصنَّا وَبَلَغْنَا به المنى ودَعانَا فَكُلُنَا معا منه طَائِعَا

٤–يترجَّاكَ طَاهِرٌ يومَ تُبلَى السرائرُ مَنْ له أنتَ ناظِرٌ كيف يخشى الوقَائِعَا

٥–وإلى مَدْحِكَ انْتَمِى وعَلَّ بِالمدْحِ يُحتمى و علي بَابِكَ ارتَمى يترجّاك شَافِعَا

٦–بعد ما كانَ فازعًا ومع البَهم رَاتِعا للأمانىّ طائِعًا وإلى اللغو سَامِعا

٧–فصلاة عليكَ ما ظهرتْ أنجم السَّمّا وعلى الآلِ كلما قَدْ بَدَا الفجر طَالِعَا

(*) هذا البحر جدد فيه الشاعر من خلال هذه الأبيات ؛ حيث أتى بتفعيلة زائدة على كل شطر من الوزن نفسه .

(الشرح) :

(١) البكا : البكاء والحزن . المدى : أيام الدهر وصروفه .

(٢) عَسْعَسَ : عَسْعَس الليل عَسْعسةً : أقبل بظلامه، وفى التنزيل العزيز : "والليل إذا عَسْعَسَ" وقيل : هو إقباله . وقيل : هو إدباره ؛ قال الفراء : أجمع المفسرون على أن معنى عَسْعَس أدبر، وعليه فالمعنى فى البيت يمكن أن يكون : إذا أدبر الليل وانقشع الظلام اذهبا بى إلى ساحة الحبيب محمد – صلى الله عليه وسلم – .

(٦) البَهْمَ : أولاد الغنم ساعة تضعها من الضأن والمعز جميعاً ذكراً كان أو أنثى والمفرد بَهْمة ويجمع بَهْم وبَهَمٌ وبِهامٌ .

[قافية القاف]

(١٨)

قال داعيا ومناجياً ومادحاً [الطويل]

١- أعوذ بِربِّ البَاسِ والنَّاسِ والفَلَق وَرَبِّ الرَّجا واليأسِ من شرِ ما خَلَقْ
٢- ومِنْ شَرِ وَسْوَاسٍ ومِنْ شرِ غَاسِقٍ ومِنْ شرِ خَنَّاسِ الصدور إذا التَصَقْ
٣- ومِنْ شَرِ أفَّاكٍ ومِنْ شَرِ حَاسِدٍ ومِنْ شَرِ ذى زُورٍ ومِنْ شَرِ ذِى مَلَق
٤- ومِنْ شَرِ ذى رَأيٍ ومِنْ شَرِذى رياً ومِنْ شَرِذى مَكْرٍ ومِنْ شَرِ ما افتَرْق
٥- ومِنْ شَرِ مَا فى الكائناتِ بأسْرِهَا ومِنْ شَرِ ما خُلفٌ ومِنْ شَرِ ما اتَفقْ
٦-وأسألهُ عَفْوَاً وصَفْحاً وتوْبَـةً نَصُوحاً ومَنجاةً مِنْ الهدمِّ و والغرق
٦- وأسألُهُ أنْ يَجْعَلَ الستر مُسبَلاً علينا ويُنْجِينَا مِنْ الهمِّ و القَلَقْ
٧- ويجعَلَنَاَ مِنْ أَهلِ ملتِهِ التى قد اختارها مِنْ أَجلِ أَكْرَم مَنْ خَلَقْ

(الشرح) :

(١) غاسق : قيل الغاسق الليل إذا دخل فى كل شىءٍ، وقيل : القمر إذا خَسَفَ أى ذهب ضوُه ويَسْودّ ويظلم . ومنه قوله تعالى : "ومن شر غاسق إذا وقب" .

أى من شر القمر إذا كسف – والغساق : ما يعسق ويسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحوه، ومنه قوله تعالى : "هذا فليذوقوه حميم وغسّاق" .

(٣) أفاك : الأفاك الكذاب، والأفك الكذب، ومنه قوله تعالى : "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم" . أى بالكذب . ملق : الملق : الود واللطف الشديد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغى، وفى الحديث النبوى الشريف : "ليس من خُلق المؤمن الملق" .

ورجل مَلِقٌ يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه، ويعدك ويخلفك فلا بغى، ويتزين بما ليس عنده .

٩- محمدِ ماحِى الكفَر والشركَ وانتفى به الظلمُ والعدوانُ والبغىُ و امتَحقْ

١٠- ومن فرَّخوفا منه بالرعب هّارِبا فَليسَ لَهُ إذْ ذَاكَ فى الأرضِ مِنْ نققْ
١١- فَصيحٌ مَليحٌ ليْسَ فى الكَوْن مِثْلُهُ فَسبْحَانَ مَنْ أنْشَاهُ إذ شَاء مِنْ عَلَقْ
١٢- فَحددْ إليه الطرفَ وانظرْ تجد لَهُ جَمالاً وكلٌّ نحوَ ذلك قَدْ رَمَقْ
١٣- وليسَ يُرَجَّى للشفاعةِ غَيْرَهُ إذا الهولُ والإرجَافُ والكرْبُ لم يُطَقْ
١٤- يُشفِّعُهُ ربُّ البَريةِ فى الوَرى[1] إذا ركبوا فيما هُنَالِكَ عَنْ طَبقْ
١٥- أيا خير من وافى لمكَّة مُحْرِماً ويا خيرَ مَنْ أرمى الجِمارَ ومن حَلَقْ

(الشرح) :

(١٢) رمق : رمقه يَرْمُقُهُ رمقا ورامقه : نظر إليه . ورمقْتُهُ ببصرى ورامقتُه إذا أتبعتَه بصرك تتعهده وتنظر إليه وترقبُهُ . ورمق ترميقاً أدام النظر .

(١٣) الإرجاف : واحد أراجيف الأخبار، وقد أرجفوا فى الشىء أى خاضوا فيه، وقد رجفت الأرض وأرجفت إذا تزلزلت، وهو المقصود فى البيت .

(١٤) طَبَق : الطبق والطبقة الحال على اختلافها، وفى التنزيل : " لتركبنّ طبقا عنْ طبق" . أى حالا عن حال يوم القيامة، أو لتصيرن الأمور حالا بعد حال فى الشدة

والمعنى : أن الله يأذن لحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالشفاعةِ يوم القيامة يوم يغشى الناس من الشدة والهول ما يغشى .

[قافية الكاف]

(١٩)

قال فى قصيدة يمدح بها النبى ﷺ وقد بدأها بالغزل : [الطويل]

١- سُعا أسعفى مَنْ قَامَ فى بَابِ دَارِكِ إذ رَامَ قُرباً منكِ ليس بِدَارِكِ
٢- أتى لكِ بالبَاقى مِن الرَمق الّذى تَبقى لَهُ قد أحسن اللهُ حَالَكِ
٣- أجَارِكِ إلاّ أنّ للجارِ حُرْمَةً وأنتِ فَلا تَرْعينَ حُرمَةَ جَارِكِ
٤- أمالَكِ إشفَاقٌ أمالَكِ رِقَـهٌ فَليت نَسيمَ المنحنى لى أُمالَكِ
٥- أنالَكِ عَبْدٌ كيف شِئتِ تحكمى لقد جَلَّ مّنْ بالحكمِ فىَّ أَنالَكِ
٦- فَحِنى وجُودى و ارْفقِى وتَعَطَفِى ورِقِى وَوَاسِى و ارْحَمِى و تَدارَكِ
٧- فَلَيْتَكِ لى يَوْماً مِن الدَّهرِ تَسْمَحِى بِوَصْلٍ وصُدِّى واهْجُرِى بَعْدَ ذَلَكِ
٨- وإنْ كنتِ ما ترعينَ حقَ مَودتى استَعنتُ عَليْكِ بالنَّبىِّ المُبَارَكِ
٩- وَسِيْلَةُ مُحْتَاجٍ وملجأُ خَائِفٍ وغُنْيةُ ذى فَقرٍ وقُربةُ نَاسكِ

(الشرح) :

(١) سُعا :منادى مرخم لسعاد، وهى محبوبته، أو رمز لها . أسعفى : أدركى وأغيثى . رام قربا : أراد مودة ووصالا . بدارك : بمحققه ولا حقه، والجناس واضح فى البيت بين كلمة دارك فى الشطر الأول وبدارك فى الشطر الثانى . والمعنى : أنّ الشاعر ينادى على محبوبته أن تسعفه وتدركه بوصل ومودة .

(٢) فى الأصل أحالك : والصواب : أتى لك أى جاء . الرمق : بقية الحياة، وقيل : هو آخر النَّفس، والجمع أرماق .

(٤) نسيم المنحنى : النسيم ابتداء كل ريح قبل أن تقوى، أو هى الريح الطيبة . والمنحنى ما انحنى من الأرض رملا كان أو غيره ، ومنحنى الوادى : منعطفه ، حيث ينعرج منخفضاً عن السَّند .

١٠- إلى رِفْدِه تَسعى الوفودُ قَدْ امتطوا ظُهورَ النياقِ الناجيات الرواتِكِ

١١- ويأتونَ أفْواجاً عَلى كلِّ ضامرٍ ومِنْ كُلِّ فجٍ شَاسِعٍ فى المَسَالِكِ
١٢- فمِنْ بين مُسْتسقٍ به مَحْلَ أرضهِ ومِنْ مُسْتجير من عدوٍّ مُماحِكِ
١٣- ومِنْ سائلٍ جوداً ومِنْ طالبٍ شِفًا ومِنْ مشتكٍ مِنْ عَيْشِهِ المتَّضانِك
١٤- فيرجعُ كُلٌّ ذا أصابَ شِفَاءَه وذا راح ذا مال كثير المّمالِكِ
١٥- وها ذاكَ وافى أرضَه حين أخْصبت وأزهارُها مثل الثغورِ الضواحِكِ
١٦- وها ذاك لا يخشى عدوّاً من الوَرى وأعدَاؤُهُ قَدْ أُوقِعُوا فى المَهَالِكِ
١٧- تَباركَ مَنْ رقَّاهُ ذُروةَ مَجْدِهِ وعَلاّه قدراً عاليا عن مشارك
١٨- ألا يا رسولَ اللهِ إنِّى مُسرفٌ ولستُ لفعْلِ المعضِلاتِ بتارِكِ
١٩- فخذ بيدى يا أَرفَعَ الرسلِ همةً وكنْ شَافِعى يا عُمدتى عند مالِكِى

(الشرح) :

(١٠) الناجيات : السريعات، وناقة ناجية ونجاةٌ : سريعة، وقيل تقطع الأرض بسيرها . الرواتك : الراتكة من النوق التي تمشى وكأن برجلها قيداً، وهى مشية فى اهتزاز .

(١٢) مَحْلَ أرضه : المحْلُ : الشدة والجوع الشديد وإن لم يكن جدب، وهو نقيض الخصب، وأرض محل وقحط : لم يصبها المطر فى حينه، وقيل : هو انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ، وجمعه محول وأمحال . عدو مماحك : المحك :المشادة والمنازعة فى الكلام . والمحك : التمادى فى اللجاجة عند المساومة والغضب، ورجل مُحِكٌ ومُماحك ومَحْكان إذا كان لجوجاً عسر الخُلُق . والمحك : اللجَّاج .

(١٣) متضانك : الضنك أصله فى اللغة الضيق والشدة، ومعيشة ضنك ضيقة، وكل عيش غير جل ضنك . والمقصود العيش الضيق، ومنه قوله تعالى : "ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا" .

(١٥) فى الأصل حتى والصواب حين لإقامة الوزن .

[قافية اللام]

(٢٠)

وقال فى الموت : [الخفيف]

١- كُلُ شَىءٍ للنَّاسِ فيهِ مَجَالُ واحْتِفَالٌ مادَامتِ الآجَالُ
٢- واحتيالٌ وحِكْمةٌ وبَلاغٌ لكنِ الموتُ لَيْسَ فيهِ اِحْتيالُ
٣- مَا لَنَا عنهُ مِنْ محيصَ ولكِن مَا بَرِحْنَا تَغُرنا الآمَـالُ

(الشرح) :

(٣) محيص : الحيص : العدول والهرب من الشيء، يقال : ما عنه محيص، أى محيد ومهرب .

ومعنى الأبيات :أن كل الأمور يمكن أن يكون فيها احتيال إلا الموت الذى لا شفاعة فيه ولا حيلة، لكن الأمانى والآمال هى التى تغر الانسان حتى يأتيه الموت الذى لا مفر منه ولا مهرب .

---

(٢١)

وقال متغزلاً : [الطويل]

١- خُذُوا حِذْرَكُم إنْ سَلَّ سَيْفَ لِحَاظِهِ فَكلُّ شَهيدٍ فى الغَرامِ قتيلُهُ
٢- شَمَائِلُهُ دارت عَلَيْنا شُمُولُهُا وجَنباتِ شَمْلِ الهَجْرِ طَالتْ ذِيُولُهُ

(الشرح) :

(١) فى الأصل شل، والصواب سل ليستقيم المعنى .

والشاعر هنا يتغزل بجمال عيون المحبوبة، وبنظراتها التى تفتك بالقلوب الولهة المحبة، وكذا بشمائلها وخصالها التى عرفها القاصى والدانى .

(٢٢)

وقال راجياً : [الطويل]

١- ألا يَا رَجَاءَ القانطينَ وغَوْثَهم إذا يئسَ الجانِى وطَالَ عَوِيلُه
٢- يَرجِيكَ خَوْفَاً طَاهِرٌ بن مترفٍ غَدَاً لِثَقِيلِ الوِزْرِ منه ثُقِيْلُه

(الشرح) :

(١) طاهر : هو الشاعر نفسه . تقيله : يقال : أقال الله فلانا عثرته، بمعنى الصفح عنه، وفى الحديث الشريف : "أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم . والمعنى : يطلب الشاعر من الله – سبحانه وتعالى – ويرجوه رجاء الخائفين أن يخفف عنه من وزره ويغفر له ذنبه فى يوم ثقيل عظيم الهول، هو يوم القيامة .

(٢٣)

وقال يشكو من الزمان ثم يمدح : [الطويل]

١- مَتى يَنْقَضِى هذا الزمانُ وكَلُّه لأنَّ بِهِ ضَاعَ التَجلُّدُ كُلُّه
٢- وقد كثرت فيه المشقة والشقى وقد قل فيه الصبر حتى أقله

- - - - - - - - - - -

٣- ليْسَ لَهُ فى الشَّمسِ ظلٌ لأنّه ضيا نُورِهِ أقْوَى فَلاَ يستظلُّه
٤- [وكم] مِنْ عَدوٍّ جَاءَهُ بِعَدَاوَةٍ وأبْصَرَهُ بالعينِ ألاَّ يجلُّه

(الشرح) :

(١) الكَلُّ : الإعياء والضعف، وهو قفا السيف والسكين الذى ليس بحاد، يقال : كلَّ السيف والبصر وغيره من الشىء الحديد يكلُّ كلا وكلة وكُلُولاً، فهو كليل لم يقطع .

والمعنى هنا : أن الشاعر يشكو من الزمان وما فيه من ضعف أهله وضياع قوتهم وقله صبرهم .

(٤،٣) البيتان الثالث والرابع من القصيدة نفسها، لكنهما ليسا فى الشكوى من الزمان، وإنما هما فى المدح لأحد الأشخاص لم يذكر الشاعر اسمه .

(٢٤)

وقال فى المناجاة والثناء على الله : **[الخفيف]**

١- جَلَّ مَنْ يسّر المقَالَ ووَالَى بجمْيلٍ سبحانَهُ و تَعالى[١]
٢- وبِفَضْلٍ قَدْ ارتضى بِقَبُولٍ كُلُّ عَبْدٍ مِن الذنوبِ اسْتَقالا
٣- ما له فى سُلْطَانِهِ من وَزِيْرٍ أو مُشِيرٍ سُبْحَانَه وتَعالى
٤- غافر الذنب قابل التوب مولى ذو عطاء و ليس يخشى مَلاَلا
٥- جَلَّ عَنْ مُشْبهٍ لَهُ وشَرِيكٍ وَمَثِيلٍ سُبْحَانَهُ و تَعَالى
٦- قَدْ سَمَا قَدْرُهُ وجَلَّ كَمَالا وَعَلا رِفْعَةً وعزَّ جَلالاَ
٧- وَلَهُ الأمرُ كلهُ راجعٌ فى كُلِّ شَىءٍ سُبْحَانَهُ وتَعَالى
٨- قَادِرٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ رَاحِمٌ عَالِمٌ يُجِيبُ السُؤَالا
٩- قَدْ علِمنَا بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لـم يتجزَّى[١]سُبْحَانَهُ وتَعَالى

(الشرح) :

(١) في الأبيات من الأول حتى التاسع عيب من عيوب القافية وهو الإيطاء، وهو تكرار القافية فيما دون سبعة أبيات .

(٤) ملالا : الملُ والمِلاَل، هو أن تملّ شيئاً وتعرض عنه، ويقال : مللت الشيء مَلَّة ومَلَلاً وملالا ومَلالةً : برمت به . ومنه الحديث الشريف : "..... فإن الله لا يمل حتى تملوا" .ومعناه: أن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتنهدوا فى الرغبة اليه وقيل معناه : أن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، وعليه يكون المعني فى البيت : أن الله يغفر الذنب ويقبل التوبة ويعطي عطاءاً واسعا لا يُخشى قطعه ومنعه .

١٠- وَشَهِدنَا بأنَّ طه رسولٌ وأبان الهُدَى وأمْحَى الضَلاَلاَ
١١- ولَقَدْ بين الحرامَ حَرامَا مِثْلَ ما بيّنَ الحلاَلَ حَلالاَ
١٢- وبِهِ عَزَّ مَنْ تَواضَعَ لمَّا ذلَّ مَنْ كان قَدْ سَطَا واسْتَطالاَ

١٣- فهنيئاً لمَنْ ترجَّل يَسْعَى[١] للحِمى ينشد المديحَ ارْتجالاَ
١٤- مَالَهُ شَافِعٌ سِواكَ [نَبىٌّ] يَرْتجيهِ فيه إذَا الحَالُ حَالاَ
١٥- صَلواتٌ مِن الإلهِ تَعالَى دَائِماتٌ عَلى[١]المدَى[١]تَتَوالَى[١]
١٦- وسَلاَمٌ عَلَيْكَ والآلِ كُلٍ وَعَلى[١]الصَّحبِ وَاصِلٌ اتِصَالاَ

(الشرح) :

(١٠) من هذا البيت إلى آخر الأبيات مديح في النبي – صلي الله عليه وسلم – .

(١٣) ترجَّلَ : أى مشي علي رجليه وقدميه، ومنه قول الله تعالي : "وأذن في النّاس بالحج يأتوك رجالا ..." . أي يمشون علي أرجلهم .

(١٤) [نبى] زيادة يقتضيها المعني، حيث إنها سواد في الأصل .

(٢٥)

وقال من قصيدة مادحاً : **[الوافر]**

١- بكُمْ أغْنَى الرَّجا لي عن رِجالِى وذكركم حلا لي عن حلالى
٢- وشأنى كُلهُ بِكمُ مَنُـوطٌ وَليسَ لغيْرِكُمْ إصْلاَحُ حَالى
٣- فَلاَ أنْسَى لَكُم أبَداً جَمْيلا ولا لِجَمالِكمْ ما دمتُ سالِى
٤- وأوْرَثنىِّ السقامُ بكم خَبَالا ولا أدرى بذلك مَنْ خَبَا لى
٥- وأُمَسى لى بِذَاكَ الإرثِ حَالٌ وَلَكِنْ زَادَ بَعْدَ الإرثِ حَا لى
٦- فهل مِنْ دَعْوةٍ تُرجَى لصبٍ نَحيف الجسمِ أضْحَى كالخِلاَلِ
٧- وها قَدْ رَقَّ جثمانى ومَنْ قَدْ رَآنى لا يَرى إلا خَيالى
٨- فقل لمعنِّفى عَنِّى يدعنى فلى سَمْعٌ أصمُّ عَن المقَالِ

(الشرح) :

(١) الرَّجا : الرجاء من الأمل، وهو نقيض اليأس . رِجَالى : جمع رَجُل . حَلا : الحلو : نقيض المر، والحلو كل ما فى طعمه حلاوة . وحلالى : الحلال ضد الحرام

المعنى : أن الشاعر قد استغنى برجاء الممدوح عن رجاله، وقد حلا ذكره له عن ذكر كل ما هو حلو جميل .

(٤) خبالا : الخبل بالتسكين ك الفساد، وقيل : فساد الأعضاء حتى لا يدرى كيف يمشى، فهو مُتَخَبِّل خَبل مخْتَبَلٌ، خبأ الشىء يخبوه خبأ : ستره . ومنه قول الله تعالى : "ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض،" أى الذى يخرج المخبوء المستور فى السموات والأرض.

والمعنى فى البيت : أنه من شدة حبه وتعلقه بجمال محبوبه أصابته الأمراض والسقام بالخبال، فلا يدرى كيف يمشى، ولا يدرى من خبأ له هذا الأمر .

(٦) الصبّ : العاشق المشتاق . الخلال : ما يستعمل لإخراج ما دخل بين الأسنان من الطعام . والمعنى أنه أصبح ضعيفا نحيلا نحيفا من شدة الوجد ولوعة الهوى .

٩- إذَا مَا كُنتُ مَا لى مِنْ محيصٍ فَما لمعَنِّفى فِيْهم وَمَـالى
١٠- ولكنِّى استجرتُ بمن عليه بكلِّ الخَير أثْنى ذُو الجَلالِ

١١- مُحمدٌ الذى لَولاه كَانَتْ رُبُوعُ الشركِ مُشْرقةً عَوالى
١٢- تَوالَتْ مُشْرِقاتٍ كَالْهِلالِ
١٣- فأخْمَدَ نَار فَارسَ بَعْدَ وقْدٍ وكانَتْ أَلْفَ عامٍ فى اشْتِعَالِ
١٤- وأخْفَى نارَهَم وأنَار نارَ الـ أسنَّـةِ بالمثقَّفةِ الطوِّالِ
١٥- وَ وَازَرُهُ على هذاك قَومٌ إذا زأروا كآساد الدِّحالِ
١٦- تُقَاتِلُ فى سَبيلِ اللهِ حَتى أبَادُوا المُشْرِكينَ بكُلِّ حَالِ

(الشرح) :

(٩) المحيص : المهرب والمفر .

(١٠) من هذا البيت إلى آخر الأبيات مديح فى النَّبىِّ – صلى الله عليه وسلم – .

(١٣) فى الأصل ذا اشتعال والأدق فى اشتعال .

(١٥) وازرره : وازره على الأمر : أعانه وقواه، والأصل آزره . الدِّحال : الدحل نقب ضيق فمه يتسع آسفله حتى يمشى فيه . والجمع دِّحال، ولعله يريد آساد الغابة التى تمتاز بالشراسة والقوة .

١٧- ومازَالَ الرسولُ هناك يتلو من التنزيلِ آياتِ القتـالِ

١٨- إلى أن شَادَ للإسْلامِ حِصْناً مَنيْعَاً شاهِقَ الشرفَاتِ عَالِ

١٩- إذا مَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ مَثَّلا فَتِلْكَ نِهَايةُ الامتثـالِ

٢٠- فَيَا ذا الجُودِ يَا ذا المَجد يا مَنْ تعالى رِفْعَةً يا ذا الجَمالِ

٢١- إلى اللهِ العظِيم بكَ اتجاهى وفيكَ المُرْتَجى وبكَ اتكالى

٢٢- وسَاحَةُ جُودِكَ ابنُ مُترفٍ قَدْ لَها وَافَى بأحْمالٍ ثِقَالِ

٢٣- من الأَوزْارِ لَكِنْ حَطَّها فى حِماكَ فإنَّه أَحمى الحِمَى لِى

٢٤- عَلَيْكَ مِن المُهيْمنِ كلّ وَقْتٍ تَحياتٌ تدومُ بِلا زَوَالِ

[قافية الميم]

(٢٦)

وقال : [الكامل]

١- دَعْنَّى فأيَامُ الوِصَالِ قَصِيْرَةٌ جِداً ويَوْمٌ فى القطيعَةِ عَامُ

---

(٢٧)

وقال مصلياً على النَّبىِّ – صلى الله عليه وسلم – : [الطويل]

١- عليكَ صَلاةٌ لا انقطاعَ لِحَدهَا مَدى الدَّهرِ ما دَامَ الُّربَا يتبسمُ

٢- ومَا غَرَّدتْ فى سَرْحَةِ الدَوْحِ وُرقةُ وقَامَتْ على أَغْصَانِهَا تَتَرنمُ

(الشرح) :

(٢) الدُوح جمع واحد : الدَوحة وهي الشجرة العظيمة المتسقة من أي الشجر كانت، والورقة الحمامة . تترنم : الرنيم والترنيم : تطريب الصوت، ورنم الحمام والمكاء والجندب، وكل ما استلذ صوته وسمع منه رنمة حسنة .

(٢٨)

وقال مبيناً فضل الصلاة على النبى – صلى الله عليه وسلم – [الطويل]

١– فيا مَعْشرَ الإسلام فى كلِّ سَاعةٍ على خيرِ خَلْقِ اللهِ صَلُّوا وسَلِمُوا
٢– ويا مَنْ حَوى هذا المقَامَ تَيقّنوا إذا أنْتُم صَلّيتم فَعليْكُمُ
٣– يُصلى إله العرشِ عَشْرا وجبذا إذا ما تجرتم هكذا لو رَخِمْتمُ
٤– ولا تأنَفُوا عَنْ طَاهرِ بنِ مترفٍ إذَا ما ثَوى فى القبرِ أن تترحَمُوا
٥– وأنْ تسألوا اللهَ الكريم يَعمنا برحمته لُطْفاً بنا فَهوَ أرْحضمُ

(الشرح) :

(٣) الرخم : المحبة، يقال : رخِمْتَه أى عطفت عليه، وتعنى كذلك اللين فى المنطق . والمعنى : أنكم إذا صليتم على النبى صلاة صلى الله بها عليكم عشر صلوات وجبذا لو فعلتم ذلك عن حب وطاعة . ويمكن أن تكون الكلمة لربحتم ويكون المعنى صحيحاً .

(٤) لا تألفوا : أنف من الشىء يأنف أنفاً إذا كرهه وشرُفَتْ عنه نفسه، أى أخذته الحمية من الغيرة والغضب . تترحموا : أى تسألوا الله له الرحمة وهي في الأصل يترحموا، والصواب تترحموا .

[قافية النون]

(٢٩)

وقال في النصح والإرشاد : [الوافر]

١- يَقِيْناً أنَّ لا أَحَدَ يَقِينَا إذَا لَمْ نتَّقى كالمُتَّقِينا
٢- وأن السر لو لم يَسرْ فِينا هَلَكْنَا من فِعَال المُسْرِفِينَا
٣- وَلْولاَ العِلمُ والعُلَماءُ كُنَّا ضَلَلْنَا فى طَرِيْقِ الجاهِلِينَا
٤- ولو لم نقتدي بالعَارِفينا لكنا نرتضي بالعَارِ فينا
٥- وأنَّ الدَّهر ممَّا يمتحنّا فَلا نَدْرِى أَمنّا أم عَلَيْنا

(الشرح) :

(١) يقِيْناً : اليقين هو العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر، واليقين نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل، تقول علمته يقينا، ومنه قوله تعالي : "وأنه لحق اليقين . يقينا (الثانية) يحمينا ويصوننا، والفعل وقي أي صان، والكلمتان بينهما جناس، والمعني : أنه مما لا شك فيه ولا ريب أننا إذ لم نتق الله ونراقبه، فلن يستطيع أحد حمايتنا ووقايتنا من عذاب الله وعقابه .

(٤) العَارِفِيْن (الأولي) : العارفون : العالمون الذين يعرفون الأمور ويعلمونها والفعل عرف . والعارفينا (الثانية) : كلمتان الأولي : العار أي العيب والثانية فينا أي في أنفسنا . وبين العرفين الأولي والثانية جناس والمعني : أنه لو لم نفتدي بالعلماء المخلصين في أفعالهم وأقوالهم لصرنا بعيدين عن طريق الحق ولرضينا لأنفسنا العيب والعار .

٦- رَمَى[1] بالكَلِّ كَلْكَلَه عَلَيْنَا فَصِرْنَا مِثْلَ صِبغِ الآكِلِيْنَا
٧- وأَبْلانا الإلهُ بهِ وَلَكِنْ يُصَبِّرَنا الإلهُ بما ابتُلِينَا

٨- وإنْ يمكُرْ بنا أحَدٌ بسُوءٍ فإنَّ اللهَ خير المَاكِرِيْنَا
٩- يُدبرُنَا ويَرْزُقُنَا ثَبَاتَا ويَجْزِيْنَا جَزَاءَ الصَّابِرِيْنَا
١٠- تَوكّلنَا عليه وقد عَلِمْنَا بَأنَّ الفَوزَ للمُتَوَكِلِينَا

(الشرح) :

(٥) الكَلُّ : قفا السيف والسكين الذى ليس بحاد، وكَلَّ الرجل إذا تعب، والكَلُّ أيضا الرجل الثقيل الذي لا خير فيه، ومنه قول الله تعالي : "وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر علي شيء وهو كَلُّ علي مولاه" أى حمل ثقيل على ما لكه . والمقصود من كل ذلك الضعف وعدم القدرة . والكلكل : والكلكال : الصدر من كلِّ شيء، وقد يستعار الكلكل لما ليس بجسم، كقول امريء القيس :

فقلت له لما تمطي بصلبه ∴ وأردف أعجازاً وناء بكلكل

وقالت أعرابية ترثي ابنها :

ألقى عليه الدهر كلكله من ذا يقوم بكلكل الدهر ؟

فجعلت للدهر كلكلا، وهذا هو المقصود من بيت الشاعر زين الدين طاهر .

صبغ الآكلين : الصبغ والصباغ : ما يصبغ به من الإدام، وصبغ الآكلين يعني وهنه، والصبغ : الزيتون، ويقال : صبغ اللقمة يصبغها صبغا : دهنها وغمسها .

والمعني : أن الدهر رمى بهمومه علينا فعصرنا حتى جعلنا كالا دام ، أو أنه رمي بهمومه فغمسنا فيها، وصرنا لا نستطيع منها فكاكا .

وقال في نار الشوق : [الوافر]

١- دَعانِي من مِ◌َلاَمِكُمَا دَعَانى فَدَاعى وَجْدَ من أهوى[١] دَعَانى
٢- وإنِّى كُنْتُ أرجو أنْ تكُونَا ترقّالى ودَمْعِىَ أرْجُوَانـى
٣- بِرَبِّكُما إذَا لم تُجْملا فى صَنِيْعِكُمَا وإلاّ فاعْذِرانـى
٤- عَنِيتُ بما أُلاقى في فنؤَادِى يصَبِّرنى الإلهُ كما بَلاَنـى

(الشرح) :

(١) الملام واللوم واللوماء واللائمة : العذل . يقال لامه علي كذا يلومه لومه لوما وملاما وملامة فهو مليم : استحق اللوم، والعذل واللوم بمعني الإحراق، فكأن اللائم أو العاذل يحرق بلومه قلب المعذول . والخطاب في البيت لصاحبيه، ويطلق علي هذه الطريقة أسلوب التجريد .

(٢) الترق : شبيه بالدُّرْج بالضم وهو سُفيط صغير تدَّخر فيه المرأة طيبها وأدواتها، ومنه الترياق بكسر التاء : وهو دواء السموم، والعرب تسمى الخمر ترياقا

وترياقة لأنها تذهب بالهم . أرْجوانى : الأرج نفحة الريح الطيبة، وأرج الطيِّبُ بالكسر : فاح . و الأرج و الأريج : توهج ريح الطيب . والأيارجة : دواء وهو معَّرب .

والمعني : اني كنت أرجو أن تكونا لي ستراً ووقاية يدلا من عذلكما ولومكما، ويكون دمعي هو المخبر عن حالي وهيامي وشوقي .

(٤) عنيتُ : يقال : عنيت وتعنَّيتُ، وعنا عليه الأمر، أي شق عليه وعناه الأمر يعنيه عناية وعنياً : أهمه .

(٣١)

وقال فى الشكوى من صروف الزمان : [البسيط]

١- يَمْضى الزَّمانُ وَلاَ وَقْتاً ولا حِيناً يحلُو وَلاَ سَاعةً مِنْ قَوْلِ لاَ حِيْنَا

(الشرح) :

(١) الحين في الشطر الأول من البيت بمعني : الدَّهر، وقيل : وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت، وقيل : هو وقت من الزمان، ومنه قول الله سبحانه وتعالي : "هل أتي علي الانسان حين من الدهر " . ويجمع علي أحيان وتجمع الأحيان أحايين . ولا حين في آخر البيت بمعني : اللوم والشتم، يقال : لحا الرجل يلحاه لحياً : لامه وشتمه وعنفه، ولا حيته ملاحاة ولحاءً إذا نازعته . وفي المثل : من لا حاك فقد عاداك .

والمعنى : يمضي الزمان بأيامه ولياليه ولا نري سروراً ولا فرحا، كما لا ننجو كذلك من أقوال واعتداء الجهلة والسفهاء والمنازعين . والكلمتان بينهما جناس .

[قافية الواو]

(٣٢)

وقال يشكو من الصد والهجران : [الطويل]

١- عَلَى البُعدِ والهُجْرانِ والصدِّ لا أقْوى[١] وريع اصطبَارِى والتجلُّد لا أقوى[١]
٢- يقولون لي أتعبتَ نَفْسَك فى الهوى[١] فقُلْتُ دَعونى كُلُّ نفسٍ وَمَا تَهوى[١]

أولاً : فهرس القوافي والأوزان

م	القافية	البحر	الأبيات	الصفحة	م	القافية	البحر	الأبيات	الصفحة
١	ياء	الخفيف	٤	٣٥	١٨	يافعا	مواليا	٧	٥٠
٢	تابا	الطويل	٣	٣٦	١٩	ما خلق	الخفيف	١٥	٥٢، ٥٣
٣	بابا	الكامل	٥	٣٧	٢٠	دارك	الطويل	١٩	٥٤، ٥٥
٤	مغرب	الكامل	١٠	٣٨	٢١	جال	الطويل	٣	٥٦
٥	جنب	الطويل	٧	٣٩	٢٢	تيله	الخفيف	٢	٥٦
٦	جيب	السريع	٢	٤٠	٢٣	ويله	الطويل	٢	٥٧
٧	اشاد	مخلع	٩	٤١	٢٤	كله	الطويل	٤	٥٨
٨	أبدى	البسيط	١٥	٤٢، ٤٣	٢٥	عالى	الطويل	١٦	٥٩، ٦٠
٩	أكدا	الطويل	٣	٤٤	٢٦	لالي	الوافر	٢٤	٦١،٦٢،٦٣
١٠	نحمد	الخفيف	٣٠	٤٥، ٤٦	٢٧	عام	الكامل	١	٦٤
١١	بير	الطويل	٣	٤٧	٢٨	بسم	الطويل	٢	٦٤
١٢	يغفره	البسيط	٥	٤٨	٢٩	سلمو	الطويل	٥	٦٥
١٣	يندرس	البسيط	١	٤٩	٣٠	قينا	الوافر	١٠	٦٦،٦٧
١٤	ناسى	البسيط	٥	٤٩	٣١	عانى	الوافر	٤	٦٨
١٥	يعرشا	البسيط	١	٥٠	٣٢	حينا	البسيط	١	٦٩
١٦	شاه	الطويل	٣	٥٠	٣٣	أقوى	الطويل	٢	٧٠
١٧	ساه	مواليا	٢	٥٠					

ثانياً : فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
زين الدين طاهر : حياته وشعره	١
– **تمهيد** : أضواء علي عصر الشاعر	٣
– **أولا** : حياته (نسبه – مولده – وفاته)	١٠
– **ثانياً** : مصدر شعره	١٨
– **ثالثا** : موضوعات شعره	٢٠
– **رابعا** : منهجنا في التحقيق	٣٢
شعر زين الدين طاهر : جمع وتحقيق .	
الفهارس :	
أولاً : فهرس الأوزان والقوافي .	٣٥
ثانياً : فهرس المصادر .	٧٣
ثالثاً : فهرس المحتويات .	٧٢

﴿ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع﴾

أولاً : المصادر المخطوطة :

١- السفينة : لأحمد بن مبارك شاه المصري (ت ٨٦٢ هـ) معهد المخطوطات بالقاهرة تحت رقم ١٤٧٤، أدب .

ثانياً : المصادر والمراجع المطبوعة .

١- الأدب العامي في العصر المملوكي : تأليف : د/ أحمد صادق الجمال – القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦ م .
٢- الأدب في العصر الأيوبي : تأليف : د/ محمد زغلول سلام ن دار المعارف ١٩٦٨ م .
٣- الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني، دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة .
٤- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تأليف : محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، تحقيق محمد مصطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .
٥- التعليم في مصر من الأيوبيين إلى المماليك، تأليف : د/ عبد الغني محمود عبد العاطي، دار المعارف .
٦- الحركة العلمية في مصر عصر سلاطين المماليك (البرجية) ودور الأزهر فيها إعداد : مجاهد توفيق الجندي، أطروحة دكتوراة – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٨١ م .
٧- الحركة الفكرية في العصر الأيوبي والمملوكي الأول، تأليف : د / عبد اللطيف حمزة، دار الفكر .
٨- الحياة العلمية والأدبية في مصر (العصر المملوكي و العثماني) تأليف : د / محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الكليات الأزهرية ١٩٨٤ م .
٩- الخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية الطبقة الثانية ١٩٨٧ م .

١٠- الدارس في تاريخ المدارس، تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق : جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامي للثقافة ١٩٩٨ م .

١١- السلوك في معرفة الدول والملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد مصطفي زيادة، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

١٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح علي عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت .

١٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات، دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان .

١٤- الكامل في التاريخ، لابن الأثير . طبعة بيروت ١٩٦٥ م .